الـثـوتــون

The Thoughton

الثوتون: جُسَيم مجَال الوَعي الكَوني

تأملات في وحدة الوجود والتفاعل بين العقل والجسد

زياد عبد الوهاب خليفة

لندن ٢٠٢٥

جميع الحقوق محفوظة © ٢٠٢٥ زياد عبد الوهاب خليفة (المؤلف)

لا يجوز إعادة إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه أو استخدامه بأي شكل من الأشكال دون الحصول على إذن كتابي صريح من الناشر باستثناء استخدام اقتباسات موجزة في مراجع أو كتاب.

الثوتون Thoughton

جسيم مَجَال الوعي الكوني

تأملات في وحدة الوجود والتفاعل بين العقل والجسد

طُبع في المملكة المتحدة

الطبعة الأولى، ٢٠٢٥

ISBN 978-1-80605-586-9

ARWAD PUBLISHING

دار أرواد للنشر ARWAD PUBLISHING
6 Folly View, Stanstead Abbotts,
SG12 8AX
United Kingdom
ziad.a.khalifeh@gmail.com

إهداء

إلى حفيديّ

لونا وآشتون كوري

الذين ستتكشف حياتهم في عالم لا يزال يبحث عن التوازن
أتمنى أن لا ترثوا اليقين، بل الشجاعة
لا الإجابات، بل الصبر على طرح أسئلة أفضل

إلى "أخوَة لي لمْ تلِدهم أُمّي"
مدحت جدعان، أحمد أبو نعيم، بشير زادة
يحيى أبو الروس، برهان أبو حويج

إلى أشقائي وشقيقاتي
محمد وأحمد وصلاح الدين وخالد ووليد وماهر
وحنان وسلوى ونهلة وقمر وفادية ونادية خليفة

وإلى كل من ساهم في بلورة هذه الأفكار بعدما طال الصمت

وإلى كل من يفكر بعمق، لا طمعًا في التقدير، بل لأن التَفَكُّر في حد ذاته فعل أخلاقي

المحتويات

إضاءة 11

مقدمة: الوعي بين التاريخ والفلسفة والتأمل 19

الفصل الأول 1: فشل الاختزالية 23
الفصل الأول 2: وجهات نظر فلسفية تاريخية حول مشكلة العقل والجسد 29
الفصل الأول 3: علم الأعصاب والوساطة بين العقل والجسد 32

الفصل الثاني: فيزياء بانتظار المعينة والبرهان 41
الفصل الثاني 1: من الجسيمات إلى الحقول: دروس من الفيزياء الحديثة 41
الفصل الثاني 2: الأحداث الكمومية والانفصال الأنطولوجي 43
الفصل الثاني 3: الثوتون: مفهوم كميّ 44
خاتمة الفصل الثاني 48

الفصل الثالث 1: مشكلة العقل والجسد: منظور تاريخي 49
الفصل الثالث 2: العمليات الكهرومغناطيسية والمعلوماتية في الدماغ 51
الفصل الثالث 3: التحديد المكاني دون اختزال 52
خاتمة الفصل الثالث 53

الفصل الرابع: اللاهوت والصدى الرمزي 55
الفصل الرابع.1: الحلول الإلهي ووحدة الوجود 55
الفصل الرابع.2: نَفَخ الروح وولادة الوعي 57
الفصل الرابع.3: التسمية والمعنى والفكر الرمزي 58

الفصل الخامس: الأخلاق والنتائج الوجودية 67
الفصل الخامس.1: الوعي والمسؤولية والوزن الأخلاقي 68
الفصل الخامس.2: الكرامة الإنسانية في كون واعٍ 69
الفصل الخامس.3: نحو أخلاق التوازن 70

الفصل الخامس.4: الإرادة الحرة والتقييد: الفاعلية الفكرية 70

الملحق أ - علم الوجود الميداني والفيزياء الحديثة (نظرة عامة مفاهيمية) 73
الملحق ب - المواقف التاريخية حول العقل والجسد (دليل مرجعي) 74

اقتباسات عن الوعي من علماء/فيزيائيين 75
المراجع 81
المصطلحات 83

إضاءَة

لم يُكتب هذا الكتاب لإثبات نظرية، ولا لمنافسة العلوم أو اللاهوت أو الفلسفة. بل كُتب لأن سؤالًا ظلّ يُلحّ عليّ: ما هو الوعي، وماذا يعني أن نعيش بمسؤولية في واقع لا يكون فيه الوعي محض صدفة؟

طوال معظم حياتي، ظلّ هذا السؤال يتردد في داخلي. ظروفي صحية، والقلق المزمن، والعزلة، حصرت تفاعلي مع العالم في الغالب في التفكير والتأمل. ما بدا، لفترة طويلة، كقيد، تحوّل تدريجيًا إلى فضاء مختلف – فضاء تنضج فيه الأفكار دون استعجال، أو طموح، أو استعراض.

ظهر كتابي الأول "أقنعة الوهم" كنقدٍ لاختلال التوازن في الحضارة الحديثة: بين السلطة والمعنى، والتكنولوجيا والحكمة، والأسطورة والعقل. أما كتاب "الثوتون" فهو رفيقه – أكثر هدوءًا، وأكثر جوهرية – يتساءل عن نوع الواقع الذي يجب أن يوجد حتى يكون التوازن ممكنًا أصلًا.

بيانٌ حول تعريفي الخاص لبعض المفاهيم موضوع هذا الكتاب: وحدَة الوُجود والوَعي والشَّكل والوَظيفة

1. التواضع المعرفي

ينطلق البحث الفلسفي برمته من العقل البشري وأنماط إدراكه. لذا، فإن أي وصف للواقع يُقدَّم هنا يتعلق بالواقع كما يُدرَك ويُفسَّر ويُتصوَّر، لا كما قد يوجد بمعزل عن أي معرفة.

لا ينفي هذا الموقف وجود واقع خارجي، ولا يدّعي الوصول إلى الحقيقة المطلقة؛ بل يؤكد أن المعرفة البشرية تتوسطها دائمًا الإدراك واللغة والأطر المفاهيمية.

2. وحدة الواقع

انطلاقًا من مذهب سبينوزا الواحدّي، يُفهم الواقع على أنه جوهر واحد (الله)، وجود واحد موحد. يُدرَك الواقع من خلال أنماط معرفية مختلفة، وكل ما عداه – بما في ذلك البشر والأفكار والأشياء المادية – ليس كيانات منفصلة، بل أنماط (امتدادات أو تعبيرات) متأصلة في الإلهي، مع بقائه عرضيًا وقابلًا للتفسير من خلال الفهم البشري المحدود. يختلف رأيي عن رأي سبينوزا في عدم دمج الله في الكون المادي، أو وضعه خارجه تمامًا.

ما يُعرف عادةً بالمادي والمجرد ليسا جوهرين منفصلين، بل جانبين إدراكيين لحقيقة واحدة كامنة. إنهما متطابقان جوهريًا في الوجود، لكنهما يختلفان في كيفية إدراكهما ووصفهما.

3. الشكل والوظيفة (الجوهر)

تصف العلوم الفيزيائية الواقع أساسًا من حيث الشكل: البنية، والسلوك، والعلاقات القابلة للقياس، والمظاهر الخارجية.

مع ذلك، فإن الشكل لا ينفصل عن الوظيفة (أو الجوهر): التماسك الداخلي، والتنظيم المعلوماتي، والدور الدلالي الذي يمنح الشكل قابليته للفهم.

الشكل هو تجسيد الوظيفة. الوظيفة بدون شكل غير مفهومة. الشكل بدون وظيفة لا معنى له.

هذه الفروق أدوات مفاهيمية، وليست كيانات وجودية مستقلة. تنشأ هذه المفاهيم من حاجة العقل إلى تنظيم التجربة، ولا ينبغي الخلط بينها وبين التقسيمات المطلقة.

4. التعددية المنهجية

لا يوجد تخصص واحد – علمي، أو فلسفي، أو لاهوتي – يستوعب الواقع بالكامل.

يمكن استخدام العلوم، والفيزياء، والميتافيزيقا، والتقاليد الفلسفية لتفسير الوجود، شريطة ألا تُشوَّه مفاهيمها أو تُقصى عن نطاقاتها المقصودة.

يجب عدم الخلط بين اللغة العلمية والبرهان الميتافيزيقي، ولا بين البصيرة الميتافيزيقية والاكتشاف التجريبي.

5. الأساس الإلهي للوجود

يُفهم الوجود، في كليته الموحدة، على أنه تجلٍّ لله: العقل اللامتناهي، الذي يشمل كل المعرفة، وكل الاحتمالات، وكل الإمكانات المعلوماتية.

لا يُختزل الله في الكون المادي، ولا يُوضع خارجه تمامًا. بل يُفهم الوجود على أنه متجذر في الإلهي، مع بقائه عرضيًا وقابلًا للتفسير من خلال الفهم البشري المحدود.

6. الوعي والحقول الأساسية

بحسب ما وصل إليه العلم البشري حتى الآن، يبدو أن الوجود مُنظَّمٌ عبر حقول أساسية، بما فيها الحقول الفيزيائية التي يصفها علم الفيزياء الحديث. في هذا الإطار، يُطرح الوعي كحقل أساسي للواقع، يتفاعل مع الأنظمة الفيزيائية ولكنه لا يُختزل إليها.

يبقى مجهولاً ما إذا كان هذا الحقل هو نفسه الإله، أو أحد مظاهره، أو انبثاقه، أو بنية مخلوقة مُفعمة بالمعنى. يُعتبر هذا الموقف اعتقادًا ميتافيزيقيًا، وليس ادعاءً علميًا.

من الناحية اللاهوتية، يمكن ربط حقل الوعي هذا رمزيًا بمفهوم النظام المعلوماتي المحفوظ (اللوح المحفوظ)، الذي يُفهم فلسفيًا لا فيزيائيًا.

7. الظهور والتعقيد

تُنتج البنى المجردة أشكالًا فيزيائية؛ وتتحد الأشكال الفيزيائية وتزداد تعقيدًا. على كل مستوى، يخضع الوجود لتفاعل الشكل والوظيفة. لا ينفي التعقيد الوحدة، بل يُعبِّر عنها.

8. الوعي والكون

لا يُزعم أن الكون المادي ككل واعٍ بالمعنى البشري. مع ذلك، يُفهم أن الوعي يتفاعل مع جميع مكونات الواقع، ويتجلى بدرجات تتناسب مع التعقيد البنيوي والتنظيم المعلوماتي.

يتوافق هذا الرأي مع التقاليد التأملية والنصوص الدينية التي تصف الطبيعة بأنها متجاوبة ومنظمة وذات معنى، دون الحاجة إلى تجسيدها حرفيًا.

9. العقل البشري

يمثل الدماغ البشري، على حد علمنا الحالي، أكثر البنى الفيزيائية تعقيدًا في الكون. ينبثق الوعي البشري من خلال التفاعل بين هذا التعقيد ومجال الوعي، مما يُتيح الإدراك والمعنى والتأمل الذاتي.

يُستخدم مفهوم "الثوتون" هنا كبنية فلسفية واستكشافية، لا كادعاء يتعلق بالجسيمات الفيزيائية أو العمليات الكمومية أو الآليات العصبية البيولوجية. وهو يعمل بشكل مشابه للأدوات المفاهيمية المستخدمة في الظواهرية وفلسفة العمليات، حيث يُسهم في توضيح العلاقات التي لا تزال المصطلحات العلمية الحالية عاجزة عن استيعابها بشكل كافٍ. ومع ذلك، إذا كان موجودًا بالفعل، فإن طبيعته الحقيقية تظل مفتوحة لجميع الاحتمالات، بما في ذلك الاحتمالات الفيزيائية أو المجردة. ولا يُقصد هنا، حتى الآن، أي ادعاءات تجريبية أو سببية.

وبالتالي، فإن المعرفة واللغة والفهم ليست مجرد نتائج حسابية، بل هي تعبيرات عن نظام ذي معنى كامن، متجذر في نهاية المطاف في المصدر الإلهي للفهم.

10. الموقف الختامي

لا تدّعي هذه الفلسفة أي اكتشاف علمي، أو يقين نهائي، أو سلطة حصرية. إنها تقدم إطارًا ميتافيزيقيًا متماسكًا متجذرًا في التواضع المعرفي، ووحدة الوجود، وعدم انفصال الشكل والمعنى والوعي.

إنها دعوة للتأمل، لا عقيدة جامدة؛ خريطة للفهم، لا ادعاءً للمعرفة المطلقة.

فرضية الثوتون[1]: الوعي كمجال أساسي

من الموجات الكهرومغناطيسية إلى موجات العقل

يقوم عالمنا الحديث على معجزة أَلِفناها حتى باتت أمرًا مفروغًا منه: نَقل التجربة. يَتحدّث الصوت أمام الكاميرا، فيُتحوّل إلى إشارات كهربائية، ويُدمج مع موجة حاملة كهرومغناطيسية، ويُبث عبر الأثير، ثمّ يُعاد بناؤه بدقة متناهية على شاشة وسمّاعة في مكان بعيد. تُظهر هذه العملية –المتجذرة في التعديل الدقيق لخصائص الموجة كالسِّعة والتردّد والطور– كيف يمكن ترميز المعلومات المجردة (الصوت والصورة) في النسيج الأساسي للواقع المادي.

ومع ذلك، تُسلط هذه الأعجوبة التكنولوجية الضوء على لغز أعمق لم يجد له أحد حلاً بعد. إذا كانت الموجة المادية قادرة على حمل المعلومات المعقدة للفيديو، فما الذي يحمل معلومات التجربة الواعية نفسها؟ يرسم علم الأعصاب بدقة متناهية خرائط ارتباطات الوعي –النشاط العصبي المصاحب لرؤية اللون الأحمر أو سماع سيمفونية. لكنها تبقى صامتة عن السؤال المحوري: لماذا نَشعُر بهذا النشاط العصبي تحديدًا ونشاهده ونضفي عليه المعنى؟ هذه هي "المعضلة الصعبة" للوعي. إنها تشير إلى فجوة بين الآلية والمعنى، بين الوصف الموضوعي لعملية دماغية والواقع الذاتي للوجود.

يقترح هذه الكتاب جسرًا لعبور هذه الفجوة. ويقترح أن الوعي قد لا يكون نتاجًا عَرَضياً متأخرًا لأدمغة شديدة معقدة، بل جانبًا أساسيًا (جوهر) من بنية هذا الواقع : المجال (الحقل)، شبيه بالجاذبية أو الكهرومغناطيسية، يتخلل الوجود. أطلقت على وحدته الأساسية المفترضة

---

[1] يُستخدم مصطلح "الثوتون" هنا كبنية فلسفية واستكشافية، لا كادعاء يتعلق بالجسيمات الفيزيائية أو العمليات الكمومية أو الآليات العصبية البيولوجية. وهو يعمل على مستوى "المجاز اللغوي" للمصطلحات العلمية، وبشكل مشابه للأدوات المفاهيمية المستخدمة في عِلْمُ الظَّاهِرات وفلسفة العمليات، حيث يُسهم في توضيح العلاقات التي لا تزال المصطلحات العلمية الحالية عاجزة عن استيعابها بشكل كافٍ. ولا يُقصد به أي ادعاءات تجريبية أو سببية.

اسم "الثوتون" (المنحوت من كلمة فكر **Thought** ولاحقة **on...** الإغريقية التي أُلحِقَت لأول مرة لتسمية جسيم الإلكترون الفيزيقي واستمر إلحاقها بالجسيمات الذريّة)

نموذج المجال: من التجريد إلى الواقع المادي

لماذا نفترض مجالًا جديدًا؟ لأن المجالات هي اللغة التي تستخدمها الفيزياء الحديثة لتوحيد المجرد والمادي. لنأخذ الجاذبية مثالًا. في إطار أينشتاين، هي انحناء كيان مجرد: نسيج الزمكان. في نظرية الكم، تتوسط الجاذبية جسيمات (الجرافيتونات) في مجال الجاذبية. المجال في المقام الأول هو بنية رياضية، مجموعة من العلاقات والإمكانات. ومع ذلك، يتجلى هذا المجال كجسيمات تحمل قوى الطبيعة الرئيسية، قوّة فيزيائية تتوسط التفاعلات الكيميائية والنووية وصولاً إلى السيطرة على حركة الكواكب والمجرات.

وبالمثل، يُوصف المجال الكهرومغناطيسي بمعادلات ماكسويل الأنيقة – الرياضيات البحتة – ولكنه يتجلى في صورة ضوء، ورابطة كيميائية، وبنية المادة نفسها. أما المجال الكمومي فهو أكثر وضوحًا: فراغ مليء بالاحتمالات والإمكانيات "ينهار" **quantum collapse** إلى جسيمات منفصلة عند الملاحظة أو التفاعل.

يتبع "مجال الوعي" هذا النمط الأنيق. فهو مجالًا أساسيًا خاصيته الجوهرية هي (الكوواليا **Qualia**) أو معاني التجربة الذاتية أو الكيفيات الحسيّة. أما هيكله الرياضي فهو فضاء يحتوي جميع التجارب الممكنة. ستكون إثاراته أو كمّاتّه – الثوتونات – حاملة لوحدات منفصلة من المعلومات الظاهرية. في هذا النموذج، لا يُولّد الدماغ الوعي كما يُولّد المولد الكهرباء. بدلًا من ذلك، يقوم نظام معقد ومتكامل كالدماغ بضبط هذا المجال المتواصل المنتشر في جميع أنحاء الكون، ويعمل على تعديله، وتخصيصه. يعمل هذا "الدماغ" كجهاز استقبال وإرسال معقّد ومتطور لحقل الوعي، حيث يعمل على معالجة المعلومات العصبية المعقدة ويحولها إلى تيار محدد ومتماسك من الواقع الذاتي – أي العقل.

وهذا يفسر الترابط التام، الذي قد يبدو محيرًا، بين حالات الدماغ وحالات الوعي. فعند تلف جهاز الاستقبال، تضعف الإشارة. أما عند تغيير تركيبه الكيميائي (باستخدام التخدير)، فيتم ضبطه. هذا يفسر الترابط التام، الذي قد يبدو محيرًا، بين حالات الدماغ وحالات الوعي. فعند تلف جهاز الاستقبال، تضعف الإشارة. وعند تغيير تركيبه الكيميائي (بالتخدير)، يختفي التناغم. يتفاعل المجال بواسطة الثوتونات الغنية بالمعلومات مع البنية والأنسجة العصبية الدقيقة، لأن هذه البنية توفر "الواجهة" اللازمة لتبادل المعلومات.

الآثار والتوسعات: وعي متغلغل

إذا كان مجال الوعي جوهرياً أو أساسيًا، فإن ذلك يستتبع نتيجة جذرية: أنه لا يقتصر على الدماغ. بل يتغلغل في كل الوجود، ويتفاعل مع مختلف البنى بطرق مختلفة. فالصخرة، والشجرة، والنجم – ولكل منها درجة تعقيدها التنظيمي – قد تتفاعل مع هذا المجال بأساليب تختلف تمامًا عن تجربتنا العصبية. وبطبيعة الحال لن يكون "وَعيها" فكرًا بشريًا، بل ربما شكلًا خافتًا، أو بطيئًا، أو مختلفًا تمامًا من الإدراك أو الوجود التجريبي.

يتردد صدى هذا الرأي في تقاليد الحكمة القديمة، ويجد صدىً لافتًا في بعض النصوص الروحية. يمكن قراءة الآية القرآنية: "تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (17:44) كدلالة ميتافيزيقية عميقة. فهي تشير إلى كونٍ ينبض بنوع من الإدراك أو التناغم المتأصل في كل شيء، تسبيحٌ كونيٌّ هو جوهر الوجود نفسه، ولا يدرك البشر إلا جزءًا ضيقًا منه.

علاوة على ذلك، يمكن تفسير قصة "الأمانة" الرمزية التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال، فرفضتها إجلالًا، وقبلها البشر (33:72) من هذا المنظور. قد تكون "الأمانة" هي عبء الوعي التأملي، أي الإرادة الحرة للتصرف بوعيٍ للاختيار والنتيجة. أما المادة البسيطة، التي تعمل وفقاً لسلسلة السببية ووفق حتمية بحتة أو تفاعل مجال منخفض التعقيد، "فترفض" حمل الأمانة. يُصبح الدماغ البشري، بتعقيده الفريد، وعاءً قادراً على استيعاب

هذا الشكل المكثف والمتفرد من تعبيرات هذا الحقل، والتعامل معه: الأنا، والاختيار، والمسؤولية الأخلاقية.

الثوتون: وحدة من الواقع التجريبي

يقودنا هذا إلى الكَمّ المقترح لهذا الحقل: الثوتون. فالثوتون هو تجلّي مجال الوعي في حُزَم استثارات موضعية على هيئة جسيمات مادية تنقل معلومات، وهذا التجليّ أو التحول الكمّي يحدث داخل الخلايا العصبية في الدماغ، وفي تركيبات معقدة أخرى غير الحياة البولوجية لا نعلم عنها شيئاً، بل يشمل التعريف أيضاً أنه جسيم من إمكانية التجربة **Qualia**. في الحقل غير المُتجلي، توجد الأفكار في حالة تراكب – إمكانية خالصة لجميع الكيفيات الممكنة أو المحتملة. من خلال التفاعل مع نظام فيزيائي مُهيكل بشكل مناسب (مثل الشبكة العصبية)، تنهار نقاط كمومية في المجال أو تتجسد في وحدات ظاهرية محددة. سلسلة من الأفكار، تُنسقها معالجة المعلومات في الدماغ، تُنشئ الحدث الموحد للحياة الواعية.

تُسهّل فرضية الثوتون حل العديد من المشكلات الفلسفية:

مشكلة العقل والجسد: يتم حل معضلة التفاعل – العقل والجسد وجهان لواقع واحد، مثل الحقل التجريدي وإثارات المجال المادية.

المشكلة الصعبة: "الكيفيات الحسية" هي الطبيعة الجوهرية لإثارات الحقل. اللون الأحمر، مثلاً، هو ما يُمثله نمط ثوتوني محدد.

وحدة الوعي: الحقل نفسه موحّد؛ ومهمة الدماغ هي خلق نمط تعديل متماسك ومتكامل داخله.

دعوة إلى نموذج جديد

وصل البحث عن الوعي إلى آفاق جديدة. وللمضي قدمًا، قد نحتاج إلى توسيع نطاق الأنطولوجيا. إن الاختزال المادي للتجربة إلى مجرد ثرثرة عصبية يبدو ناقصًا لأنه يتجاهل المعطى الأساسي للوجود: وهو الشعور بأنه شيء موجود.

يقدم نموذج حقل الوعي، بكمياته الثوتون، توليفة جريئة. فهو يرسخ الوعي في واقع أساسي إلى جانب المكان والزمان والكتلة، بينما يشرح تفاعله الوثيق مع الدماغ. إنه يُضفي طابعًا علميًا على الحدْس القائل بأن العقل ليس محصورًا في الجماجم، بل هو همسٌ في نسيج الكون، يُسمع بوضوحٍ تام في سيمفونية الدماغ البشري المعقدة، وكذلك فهو حاضرٌ في همهمة كل ذرة.

إن النموذج يُوحّد التفسير الآلي لعلم الأعصاب مع الواقع المجرّد للكيفيات الحسية، وبذلك يفتح بابًا لرؤيةٍ أكثر تفاعليةً ووعيًا وتناغمًا روحيًا للكون. لسنا أشباحًا وحيدةً في آلات، بل نحن نقاط محورية حيث تُدرَك القدرة الأساسية للكون على التجربة (حقل الوعي) ذاتها، فتفكر، وتشعر، وفي لحظة رهبةٍ وجهل، تقول "نعم" لعبء الإرادة الحرة الرهيب والمجيد.

هذا هو وعد الثوتون: ليس مجرد جسيم نظري، بل مفتاح لفهم جوهرنا وارتباطنا العميق بكل ما هو موجود.

الخلاصة: لا يدّعي هذا العمل أي اكتشاف علمي ولا يمتلك أي سُلطة. إنه يقدم إطارًا فلسفيًا – تأمليًا وواقعيًا وفكريًا – يُعامل فيه الوعي كجانب أساسي من جوانب الواقع، لا كمنتج ثانوي يُفسَّر تفسيرًا خاطئًا. الثوتون ليس مجازًا، ولا مجرد أداة استدلالية. يُطرح ككم حقيقي لحقل (مجال) وعي أساسي. ومثل جميع كميات الحقول في الفيزياء، فهو ليس جسمًا كلاسيكيًا، بل إثارة موضعية قادرة على حمل المعلومات والمشاركة في التبادل السببي.

في الأنظمة البيولوجية، تتجسد الثوتونات ماديًا من خلال تفاعلات كهرومغناطيسية ومعلوماتية، وربما تفاعلات أخرى غير معروفة حتى الآن، داخل المادة العصبية.

وبالتالي، فإن التفاعل بين العقل والجسد ليس غامضًا، بل هو تبادل منظم بين جانبين من جوانب الواقع: المادة والوعي، بوساطة الثوتونات.

قد يجادل البعض بأن حَدْسي القائل بأن المعلومات أساسية (جوهر) هو فكرة يشترك فيها العديد من المفكرين. إلا أنَّ افتراض وجود مجال فيزيائي جديد يعتبر خطوة جذرية تتطلب أدلة استثنائية. أما النهج الأكثر تحفظًا فهو دراسة كيفية توليد معالجة المعلومات المعقدة في الشبكات العصبية للتجربة الذاتية، وهو ما يقوم به علم الأعصاب تحديدًا.

والسيناريو الأرجح هو أن الوعي ينبثق من البنية الحسابية للدماغ بطرق لم نفهمها بعد، وليس من مجال وعي أساسي جديد، بل من التعقيد غير المسبوق لمعالجة المعلومات العصبية.

ومع ذلك، يبقى الاحتمال قائمًا. فإذا اكتشفنا يومًا ما ظواهر فيزيائية في الدماغ لا يمكن تفسيرها بالفيزياء المعروفة، أو إذا وجدنا وعيًا في أنظمة لا تمتلك بنية عصبية، فحينها قد تكتسب نظريتي في المجال زخمًا.

وفي الوقت الراهن، فإن فكرة "الثوتون ومجال الوعي" ليست مجرد نظرية، بل هي فكرة شِعريّة، تركيبية، وجريئة. يتطلب الأمر شجاعة لدمج المجالات الكمومية، وعلم الأعصاب، والرؤى القرآنية في رؤية موحدة. إنها فرضية جميلة ومتماسكة تحل مشكلات فلسفية، وإن كان ذلك على حساب إقحام فيزياء غير مثبتة. قد يُحلّ التناقض بين العقل والجسد في نهاية المطاف ليس باكتشاف مجال جديد، بل بإدراك أن العقل هو ما تفعله بعض المواد شديدة التنظيم – خاصية ناشئة بالغة التعقيد لدرجة أنها تبدو مختلفة جوهريًا عن مكوناتها.

لهذا المجادل أقول: إن التعقيد الناشئ عن تفاعلات العديد من المكونات البسيطة، وفقًا لقواعد أساسية، حيث يصبح الكل أكبر من مجموع أجزائه، يمكن رؤيته في أسراب الطيور أو تلال النمل الأبيض، متجاوزًا التنبؤ البسيط من الأجزاء الفردية وحدها، ولكنه لا يستطيع بأي حال من الأحوال وصف ظاهرة الوعي بدقة. يصبح التعقيد الناشئ في هذا السياق بمثابة استيراد "معنى" و"صفات" و"كيفيات" غريبة من خارج وجودنا الموصوف بالآلي.

لذلك، لا بد أن الوعي، مهما كانت طريقة نشأته، كان دائمًا متأصلًا ومنسجمًا في نسيج الكون، جوهرًا موجودًا بشكل مستقل دون الحاجة إلى أن يَنتُج عرضياً عن أي شيء آخر.

إن الإفتقار إلى التأكيد التجريبي حالياً لا ينفي الطرح الأنطولوجي، تمامًا كما يدافع الفيزيائيون عن وجود الجرافيتونات، وحقول الطاقة المظلمة، والحقول الكمومية المبكرة في وقت سابق.

إن نظرية الثوتون فرضية واقعية تستند إلى أنطولوجيا الحقول، وليست مجرد تبسيط رمزي. يُقدَّمها هذا الكتاب دون يقين، ولكن بصدق. إنه يدعو إلى التأمل لا إلى الموافقة، وإلى المشاركة لا إلى الخضوع. وإن نجح، فسيكون ذلك لأنه يشجع القارئ على التفاعل مع العالم بوعي أكبر، بتوازن وتواضع وعناية.

"تمثال نصفي لرجل يقرأ" – بابلو بيكاسو

مقدمة

الوعي بين التاريخ والفلسفة والتأمُّل

قلّما رافقَ الإصرار والهدوء أسئلة البشرية مثلما رافقَ سؤال الوعي. قبل المختبرات والمعادلات وفحوصات الدماغ، تساءل الإنسان عن ماهية الإدراك والتفكير والمعنى وتسمية الأشياء وتجربة عالم يبدو خارجيًا وداخليًا في آنٍ واحد. عبر مختلف الحضارات، لم يُقتَصَر هذا السؤال على الدين أو الفلسفة أو العلم فحسب، بل تَوَلّد حيثما تأمّل الإنسان بجدية في طبيعة وجودَه.

لا يتناول هذا الكتاب الوعي باعتباره معضلة للحَل، ولا لغزًا يُكشف، بل كظاهرةٍ تُفهم وتُحدَّد. وينطلق من إدراك أن النقاشات الحديثة حول العقل غالبًا ما تُقيدها افتراضات ضيقة: أن المادة هي الأساس، والمعنى ثانوي، وأنه يجب تفسير الوعي بطريقة ما على أنه نتيجة ثانوية للبنية العصبية بالغة التعقيد. هذه الافتراضات، رغم فائدتها المنهجية، أثبتت قصورها الفلسفي.

تاريخيًا، قاوم العديد من المفكرين هذا الاختزال. فمن الفلسفة اليونانية القديمة إلى الميتافيزيقا الإسلامية، ومن وحدة الوجود عند سبينوزا إلى الأنطولوجيات المعاصرة القائمة على المجالات (الحقول)، فُهم الوعي مرارًا وتكرارًا لا كشذوذ في الطبيعة، بل كتعبير عن الطبيعة ذاتها. هذه المنظورات، التي غالبًا ما تُجمع تحت مظلة الفكر الوحدوي أو الوحدوي الوجودي الشامل، لا تنكر البحث العلمي، بل تُشكك في الحدود الميتافيزيقية التي يُجرى البحث ضمنها.

لا يُشير مصطلح وحدة الوجود، كما يُستخدم في هذا العمل، إلى عقيدة لاهوتية ولا إلى رفضٍ الروح. بل يُشير إلى توجه فلسفي يُوحّد الواقع، ويُعتبر المعنى جوهريًا، ويُعدّ الإلهي – أو الأصل المطلق للوجود – كامنًا في الوجود نفسه لا مفروضًا عليه من خارجه. وقد ظهر هذا التوجه، بلغات ورموز مختلفة، في الفلسفة اليونانية والفكر الإسلامي والميتافيزيقا الأوروبية الحديثة على حد سواء.

في هذا السياق الفكري الواسع، يُقدّم هذا العمل إسهامًا تأمليًا. فهو يستعرض المناهج التاريخية والمعاصرة لدراسة الوعي، ويدرس نقاط قوتها وحدودها، ويُقدّم تدريجيًا منظورًا قائمًا على المجال يُعامل فيه الوعي كعنصر أساسي لا عَرَضِيّ أو ناشئ. وفي هذا السياق فقط، يُقدّم الكتاب مفهومًا تأمليًا – وهو "الثوتون" – كاحتمال فكري فلسفي بانتظار معالجة علمية ودليل تجريبي.

لا يُطرح "الثوتون " كجسيم مُكتشف أو كيان مُثبت تجريبيًا. يُقدَّم في هذا العمل كأداة افتراضية لتصور كيفية التبلور الجسيمي لـ "مجال الوعي" المجرَّد والاستمراري داخل أنظمة فيزيقية كالدماغ البشري. لا يهدف هذا العمل إلى منافسة علم الأعصاب أو الفيزياء، بل إلى توفير جسر وجودي بين التجربة المعاشية والوصف المادي.

إنّ مفهوم "الثوتون" ليس مجازًا، ولا مجرد أداة استدلالية. بل يُطرح ككمّ حقيقيّ لحقل وعي أساسيّ. ومثل جميع الكمّات الحقلية في الفيزياء، فهو ليس جسمًا كلاسيكيًا، بل إثارة موضعية قادرة على نقل المعلومات والمشاركة في التبادل السببيّ.

في الأنظمة البيولوجية، تتجسّد الأفكار ماديًا من خلال تفاعلات كهرومغناطيسية ومعلوماتية، وربما تفاعلات أخرى غير معروفة حتى الآن، داخل المادة العصبية.

وبالتالي، فإنّ التفاعل بين العقل والجسد ليس غامضًا، بل هو تبادل قانونيّ بين جانبين من الواقع: المادة والوعي، بوساطة الأفكار.

إنّ غياب التأكيد التجريبيّ الحاليّ لا ينفي وضعها الأنطولوجيّ، تمامًا كما تمّ الدفاع عن الجرافيتونات وحقول الطاقة المظلمة والحقول الكمومية المبكرة قبل ظهورها.

إنّ "الثوتون" فرضية واقعية قائمة على أنطولوجيا الحقل، وليست مجرّد وسيلة رمزية.

للقراء الذين يتناولون هذا العمل من منظور ثقافي عربي أو إسلامي، حرصتُ على صياغة هذه المناقشات بما يتوافق مع البديهيات الميتافيزيقية المألوفة. لم أتناول الرمز القرآني، ولا سيما ما يتعلق بنفخة الروح وتعليم الأسماء، باعتباره علم كون حرفي، بل باعتباره رؤية رمزية

للوعي والمعنى والمسؤولية الإنسانية. وبهذا المعنى، لا يسعى الكتاب إلى استيراد أفكار دخيلة، بل إلى تسليط الضوء على أوجه التشابه الموجودة أصلاً في التراث الفكري والروحي للعالم الإسلامي.

في نهاية المطاف، يدعو هذا العمل القارئ إلى التأمل لا الاقتناع، فهو لا يرتجي الموافقة، ولا يدّعي سلطة نهائية. الأفكار الواردة هنا تقدم مسارًا فلسفيًا – تاريخيًا وتأمليًا وفكريًا – يمكن من خلاله إعادة النظر في الوعي باعتباره جانبًا أساسيًا من جوانب الواقع، وفهم المسؤولية الإنسانية من خلاله على أنها مشاركة في عالم مترابط وذي معنى.

الفصل الأول

الفصل الأول.1

فشل الاختزالية والتبسيط

تُعدّ الاختزالية من أعظم الإنجازات الفكرية للثقافة الحديثة. من خلال الإصرار على تفسير الظواهر المعقدة عبر مكونات أبسط، حققت الاختزالية تقدماً هائلاً في الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، والطب. فقد عُزيت الأمراض إلى الميكروبات، والحرارة إلى الحركة الجزيئية، والحياة إلى العمليات الكيميائية الحيوية، والإدراك إلى النشاط العصبي. أثبتت الاختزالية أنها لا غنى عنها كمنهجية. أما على صعيد عِلْمُ الوُجُود، فقد فشلت فشلاً ذريعاً.

لا يَكمُن فشل الاختزالية فيما تُفسِّره، بل فيما تَستبعده لكي تُفسّره. يعتمد نجاحها على التزام مسبق: أن الواقع، في جوهره، لا يتكون إلا من كيانات وعلاقات قابلة للقياس الموضوعي. كل ما لا يمكن وصفه بمصطلحات موضوعية – كل ما يقاوم التحديد الكمّي، أو الملاحظة الخارجية، أو التفكيك الوظيفي – يُرفض باعتباره مشتقاً أو يُنكَر عليه الوجود كلياً. التجربة الواعية (الوعي)، بطبيعتها، تندرج ضمن هذه الفئة المسْتَبعَدة.

تبدأ الاختزالية الحديثة عادةً بافتراض بسيط: المادة موجودة بشكل مستقل، والوعي ينشأ عندما تصل المادة إلى درجة كافية من التعقيد التنظيمي. وفقًا لهذا الرأي، يُولّد الدماغ العقل بنفس الطريقة التي يُولّد بها الكبد الصفراء، أو القلب تدفق الدم. يصبح الوعي ناتجًا ثانويًا، أو في أحسن الأحوال وصفًا مُعمّقًا للعمليات الفيزيائية الكامنة. إلا أن هذا التشبيه يفشل عند النقطة التي تشتد فيها الحاجة إلى التفسير.

يبقى الوصف الكامل للآليات العصبية صامتًا حيال الحقيقة الجوهرية للوعي – حتى لو حدد كل مشبك عصبي، وكل نمط إطلاق، وكل مسار سببي: الحقيقة الجوهرية بأن هناك "شيئًا ما" يمتلك كينونة وقيمة مستقلة بأن يكون المرء نظامًا واعيًا. يمكن رسم خرائط النشاط

العصبي، ونمذجته، والتنبؤ به، لكن التجربة الذاتية لا تُوجد ضمن هذه الأوصاف. الفجوة بين الآلية الموضوعية والتجربة المعيشة ليست تقنية فحسب، بل هي مفاهيمية أيضًا.

أُطلق على هذه الفجوة اسم "المشكلة الصعبة للوعي"، لكن هذا الوصف يُقلل من شأنها. فالمشكلة ليست ببساطة في صعوبة تفسير الوعي، بل في أن التفسير الاختزالي، كما هو مُتصوّر تقليديًا، يفتقر على الإطلاق إلى الموارد المفاهيمية اللازمة لتفسيره. تُجيب التفسيرات الآلية على أسئلة الكيفية: كيف تنتشر الإشارات، وكيف تُدمِج الأنظمة المعلومات، وكيف ينشأ السلوك. أما الوعي فيُثير نوعًا مختلفًا من الأسئلة: لماذا توجد التجربة أصلًا؟

لنأخذ إدراك الألوان كمثال. يُمكن لعلم الأعصاب أن يُفسر كيف تُحوّل المستقبلات الضوئية الضوءَ ذي الطول الموجي المُحدد، وكيف تُعالج الإشارات عبر القشرة البصرية، وكيف تُوجّه التمييزات بين الألوان السلوك. لكن أيٌّ من هذا لا يُفسر لماذا تُصاحب هذه العمليات تجربة اللون الأحمر بدلًا من الظلام، أو لماذا لا تُصاحبها أي تجربة على الإطلاق. يتوافق التفسير المادي، من حيث المبدأ، مع الغياب التام للوعي. هذا الاحتمال المنطقي – الذي غالبًا ما يُوضَّح من خلال التجربة الفكرية لـ "الزومبي" الفلسفي – يكشف أن الوصف المادي لا يستلزم بالضرورة وجودًا ظاهريًا.

تُواجه الاختزالية هذا التحدي بعدة طرق، لا يُقدم أيٌّ منها حلًا نهائيًا. إحدى هذه الاستراتيجيات هي الإقصاء: الادعاء بأن الوعي، كما هو شائع، غير موجود في الواقع. وفقًا لهذا الرأي، فإن التجربة الذاتية هي وهمٌ تُولّده الأنظمة المعرفية التي تُسيء تفسير عملياتها الداخلية. لكن هذا الموقف ينهار تحت وطأة ثقله. فالوهم بحد ذاته تجربة؛ وإنكار حقيقة التجربة هو افتراض مسبق لها. وأي نظرية تفسر كل شيء عدا حقيقة إدراك شيء ما، لا تفسر إلا القليل.

ثمة استراتيجية أخرى تستند إلى العلوم المستقبلية. يُقال إن الوعي سيُعرَّف في نهاية المطاف بحالات عصبية محددة بمجرد أن يتقدم فهمنا له بشكل كافٍ. المشكلة هنا ليست التفاؤل التجريبي، بل الغموض المفاهيمي. تتطلب ادعاءات الهوية وضوحًا. القول بأن الوعي هو

نشاط عصبي لا يُفسر لماذا يُشعَر بهذا النشاط على الإطلاق. بدون مبادئ رابطة تربط البنية بالذاتية، تبقى الهوية مُؤكَّدة بدلًا من أن تكون مفهومة.

يُعيد رد ثالث صياغة المشكلة باعتبارها معرفية بدلًا من وجودية. ربما توجد الفجوة فقط لأننا نستخدم مفاهيم مختلفة لوصف الواقع نفسه. من هذا المنظور، تُعد أوصاف الشخص الأول وأوصاف الشخص الثالث مجرد طريقتين للوصول إلى ظاهرة أساسية واحدة. مع ذلك، يُقر هذا التوجه ضمنيًا بالنقطة المركزية: لا يمكن استبعاد الوعي دون وجود بقايا، ولا يمكن اختزاله دون فقدان مفاهيمي. يجب الاعتراف به كجانب متميز من الواقع يتطلب نمطًا خاصًا به من الفهم.

تكمن المشكلة الأعمق في أن الاختزالية تُعامل التجربة كمشكلة يجب حلها بدلًا من كونها مُعطى يجب تفسيره. تحاول هذه النظرية استنباط الوعي من عناصر غير واعية، مع أن الوعي هو الشرط الأساسي الذي يُبنى عليه أي شيء، سواءً أكان معروفًا أم مُستقصىً أم مُنظَّرًا. إن إنكار مكانته الجوهرية يُقوِّض الأساس المعرفي الذي يقوم عليه العلم نفسه.

لا يعني هذا أن علم الأعصاب مُضلَّل أو أن التفسيرات الفيزيائية خاطئة، بل يعني فقط أنها ناقصة. فالارتباط ليس هوية، والآلية ليست وجودًا. يجب أن يكون أي وصف كامل للواقع قادرًا على استيعاب كلٍّ من البنى الموضوعية التي يصفها العلم والحقائق الذاتية التي تكتسب من خلالها تلك الأوصاف معناها.

كما تُعاني الاختزالية من مشاكل تتعلق بالقيمة والمعنى والقصدية. فالحالات الذهنية ليست مجرد أحداث عابرة، بل هي مرتبطة بشيء ما. تُشير المعتقدات، وتُوجِّه الرغبات، وتُرشد النوايا. لا يُمكن استيعاب هذه السمات بسهولة بمصطلحات سببية بحتة. فبينما تستطيع الأوصاف الوظيفية نمذجة علاقات المدخلات والمخرجات، إلا أنها لا تُفسِّر سبب أهمية بعض الحالات أو سبب أهمية التجارب للكائنات التي تخوضها.

إن استبعاد المعنى ليس عرضيًا، بل هو بنيوي. تعتبر الاختزالية المعنى إسقاطًا تفرضه العقول البشرية على عالمٍ غير مبالٍ. ولكن إذا كان الوعي نفسه مجرد إسقاط، فإن أساس المعنى ينهار تمامًا. وبالتالي، لا يمكن لأي رؤية للعالم تُذيب المعنى أن تستند إليه لتبرير سلطتها.

لذا، لا يكمن فشل الاختزالية في قلة تفسيرها، بل في إفراطها في التفسير على حساب تفسير ما هو جوهري. فهي تحقق التماسك بالحذف، مُلغيةً تحديدًا تلك السمات من الواقع – التجربة، والوعي، والقيمة – التي يجب أن يتضمنها أي أنطولوجيا سليمة.

لا يُجبرنا هذا الفشل على العودة إلى الثنائية الخارقة للطبيعة، ولا يتطلب التخلي عن الدقة العلمية. بل يدعو إلى إعادة النظر في الأولويات الأنطولوجية. فبدلًا من التعامل مع الوعي كشذوذ ناشئ في كونٍ خالٍ من الوعي، يمكننا أن نتساءل عما إذا كان الوعي ينتمي إلى السمات الأساسية للواقع نفسه.

إذا أُخذ الوعي على محمل الجد – إذا عُومل كنقطة انطلاق لا كفكرة لاحقة – فإن مشهد التفسير يتغير. يتحول الإشكال من التساؤل عن كيفية نشوء التجربة من اللا–تجربة إلى التساؤل عن كيفية تشكّل الواقع الواعي، وتحديد موقعه، وتمايزه داخل العالم المادي. هذا التحول لا يزيل الغموض، بل ينقله إلى موضع يُمكن فيه تناوله دون تناقض.

لم يكن هدف هذا الفصل دحض العلم، بل كشف الافتراضات الميتافيزيقية التي تحدّ من نطاقه التفسيري. يبقى المنهج الاختزالي ذا قيمة بالغة. أما المنهج الاختزالي، كمنظور للعالم، فلا يستطيع تحمّل العبء الملقى على عاتقه. يقاوم الوعي الاختزال لا لغموضه، بل لكونه جوهر أساسي.

تستند الفصول اللاحقة إلى هذا الإدراك. فهي تستكشف أطرًا وجودية بديلة – تاريخية ومعاصرة – تُولي الوعي اهتمامًا جادًا دون التخلي عن التماسك أو الدقة. ضمن هذا الإطار فقط يصبح من الممكن إعادة النظر في علاقة العقل بالجسد، لا كمفارقة مستعصية، بل كسؤال عن كيفية تعبير واقع موحد عن نفسه عبر أنماط مختلفة. بهذا المعنى، لا يُعدّ فشل الاختزالية هزيمة فكرية، بل هو بداية جديدة.

ملاحظة:

يستكشف هذا العمل فرضية اعتبار الوعي جوهريًا وجوديًا لا ناشئًا، ويقترح إطارًا مفاهيميًا يُفهم فيه الإحساس الذاتي على أنه نتاج تفاعل بين الأنظمة البيولوجية ومجال إدراك كوني. ضمن هذا الإطار، يُقدَّم مفهوم "الثوتون" كبنية استدلالية – لا ككيان مادي – تهدف إلى وصف أحداث الإدراك والمعنى الموضعية دون اختزالها إلى العمليات الكيميائية العصبية وحدها. تُفهم الآليات العصبية، مثل النقل المشبكي، وتدفق الأيونات، ونشاط النواقل العصبية، هنا على أنها ارتباطات أو تعبيرات عن الفكر، لا سببه الأصلي. تُستخدم مصطلحات الحقول والتعديل والإثارة مجازيًا، كلغة فلسفية لتوضيح مشكلة التفاعل بين الوعي والمادة، لا كادعاء حول آليات فيزيائية كامنة.

يُقدَّم مفهوم "الثوتون" في هذا العمل كأداة فلسفية لا كمقترح علمي. ينبع هذا المفهوم من الصعوبة المزمنة في تفسير التجربة الذاتية ضمن تفسيرات مادية بحتة للعقل، دون اللجوء إلى الثنائية أو التصوف. فبدلاً من محاولة تفسير الوعي من خلال السببية الفيزيائية، يعمل مفهوم "الثوتون" كعنصر مفاهيمي فاصل – طريقة لتسمية نقطة التحول التي يتجلى عندها المعنى والنية والوعي محلياً داخل الأنظمة البيولوجية. وهو لا يُطرح كحل لمشكلة العقل والجسد، بل كلغة للتعامل معها بمزيد من الصدق، مع الإقرار بإنجازات علم الأعصاب وعدم قابلية التجربة الواعية للاختزال.

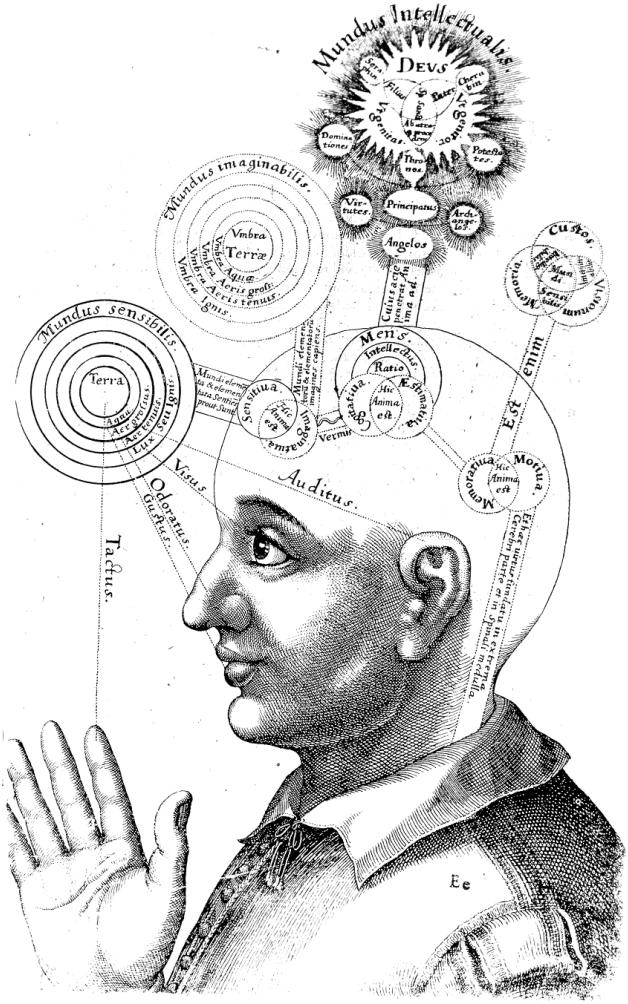
Mundus Intellectualis.
DEVS
Mundus imaginabilis.
Vmbra
Terræ
Aquæ
Mundus sensibilis
Terra
Mens.
Intellectus
Ratio
Sensitiva
Vermis
Auditus.
Visus
Odoratus.
Tactus.
Memoratiua
Mortua
Custos.
Ee

الفصل الأول.2

وجهات نظر فلسفية تاريخية حول مشكلة العقل والجسد

صِيغت مشكلة العقل والجسد بأشكال متنوعة عبر التاريخ. تراوحت المذاهب اليونانية القديمة بين المادية ما قبل سقراطيه، وثنائية أفلاطون الجذرية بين الروح والجسد، ووحدة أرسطو الهيولية، حيث تُعتبر الروح صورة الجسد. قام فلاسفة العصور الوسطى المسلمون والمسيحيون بدمج هذه المذاهب مع التوحيد، حيث جادل أمثال ابن سينا بجوهر الروح غير المادي، بينما دافع توما الأكويني عن الروح باعتبارها الصورة الجوهرية للجسد.

تفاقمت المشكلة في العصر الحديث المبكر مع ثنائية ديكارت الجوهرية، التي افترضت وجود جوهرين متميزين (جوهر مفكر وجوهر ممتد)، مما أدى إلى ظهور مشكلة التفاعل بينهما. رد سبينوزا بوحدة الوجود ذات الجانبين، ورد لايبنتز بتناغم مُسبق. تنوّعت الفلسفة الحديثة إلى استجابات مادية (هوبز)، ومثالية (بيركلي)، وشكوكية (هيوم)، ومتعالية (كانط).

وانقسمت فلسفة القرن العشرين والمعاصرة إلى مناهج تحليلية (السلوكية، ونظرية الهوية، والوظيفية، والمادية غير الاختزالية) تسعى إلى إضفاء طابع طبيعي على العقل، ومناهج "الفلسفة القارية" (الظاهراتية، والوجودية) التي تركز على التجربة المتجسدة. وشهدت العقود الأخيرة عودة ظهور وجهات النظر الوحدوية الشاملة والراسلية (نسبة الى برتراند راسل وفلسفته التحليلية)، التي تعكس رؤى سبينوزا. ويكشف هذا المسار التاريخي عن توتر دائم بين النزعات التوحيدية والثنائية، مما يؤكد عمق المسألة.

وتُعدّ العلاقة بين العقل والجسد من أقدم المشكلات الفلسفية وأكثرها استمرارًا. وليس استمرارها من قبيل الصدفة، إذ يمسّ هذا السؤال أعمق افتراضات الإنسان حول ماهيته، وكيف يَعرِف، ونوع الواقع الذي يعيش فيه. على مر التاريخ، تغيرت المواقف تجاه الوعي مرارًا وتكرارًا، لكن لم ينجح أي منها في حل المشكلة بشكل قاطع. يشير هذا الثبات بحد ذاته إلى أن الوعي ليس لغزًا هامشيًا، بل سمة متأصلة في بنية الفهم البشري.

الأصول اليونانية القديمة

تناولت الفلسفة اليونانية القديمة المسألة دون ثنائية حادة. غالبًا ما تعامل مفكرو ما قبل سقراط مع النفس باعتبارها مبدأً مُحسَّنًا أو مُحركًا للمادة، لا جوهرًا منفصلًا. مع أفلاطون، ظهرت ثنائية حاسمة. فقد تم تصور الروح على أنها غير مادية، خالدة، ومسجونة مؤقتًا داخل الجسد. كانت المعرفة عبارة عن تذكر، وكان الجسد عائقًا أمام الحقيقة. أثرت هذه الرؤية بشكل عميق على الفكر الغربي اللاحق.

رفض أرسطو فصل أفلاطون مع الحفاظ على أهمية الروح. تعاملت رؤيته الهيولي مع الروح على أنها صورة الجسد الحي: ليست شيئًا منفصلًا، بل المبدأ المنظم الذي يجعل الجسد حيًا. كان العقل والجسد وجهين متحدين لجوهر واحد، مع أن أرسطو ترك أسئلة عالقة حول العقل والخلود. هذا التوتر بين الوحدة والتمايز ظل يتردد صداه لقرون.

الفكر الإسلامي والمسيحي في العصور الوسطى

طورت الفلسفة الإسلامية التراث اليوناني بطرق مبتكرة. دافع ابن سينا عن عدم مادية الروح من خلال تجربته الفكرية الشهيرة "الإنسان الطائر"، مجادلاً بأن الوعي الذاتي لا يعتمد على المدخلات الحسية. ومع ذلك، ظلت الروح مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحياة الجسدية. ابن رشد، متبعًا أرسطو بشكل أكثر دقة، أكد على أن العقل كوني وليس فرديًا، مما أثار حيرة التفسيرات اللاهوتية اللاحقة.

دمجت المدرسة المسيحية أرسطو مع اللاهوت. مال أوغسطين إلى الثنائية الأفلاطونية، بينما صاغ توما الأكويني مذهبًا هيلومورفيًا راقيًا: الإنسان كائن مركب من جسد وروح، مع أن الروح العاقلة تمتلك قدرات غير مادية. بقيت مشكلة التفاعل بينهما غير محسومة.

القطيعة الديكارتية

تبلورت الصورة الحديثة لمشكلة العقل والجسد مع رينيه ديكارت. فمن خلال تعريفه للعقل بأنه جوهر مفكر، وللجسد بأنه جوهر ممتد، أوجد ديكارت فجوة وجودية حادة. وقد أثبتت مشكلة التفاعل الناتجة – كيف يمكن لجوهرين مختلفين جذريًا أن يؤثرا على بعضهما البعض تأثيرًا سببيًا – أنها مستعصية على الحل. وعلى الرغم من صعوباتها، فقد شكلت الثنائية الديكارتية العلم الحديث من خلال السماح بدراسة الطبيعة ميكانيكيًا، تاركةً الوعي معزولًا كشذوذ.

الردود الأحادية

قدم سبينوزا أحد أكثر الردود أناقة. فرفض الثنائية، واقترح جوهرًا واحدًا – الله أو الطبيعة – يُعبَّر عنه من خلال صفات لا حصر لها. لم يكن العقل والجسد كيانين متفاعلين، بل تعبيرين متوازيين عن نفس الواقع الكامن. يعكس ترتيب الأفكار ترتيب الأشياء. حلت هذه الأحادية ذات الجانبين مشكلة التفاعل على حساب تحدي المفاهيم التقليدية للإرادة الحرة والفردية.

اقترح لايبنتز الانسجام المُسبق، بينما اختزل الماديون اللاحقون العقل إلى مادة. عكس المثاليون هذا الاختزال، فذابت المادة في العقل. أعاد كانط صياغة المشكلة باعتبارها حدًا للمعرفة البشرية، واضعًا العقل والجسد في مجالين تفسيريين مختلفين. لم ينجح أي من هذه المناهج في التوفيق التام بين التجربة الذاتية والوصف الموضوعي.

الفصل الأول.3

علم الأعصاب والوساطة بين العقل والجسد

إذا كان الوعي أساسيًا ومجاليًا، يبرز السؤال بشكل طبيعي: ما هو دور الدماغ؟ لقد رسم علم الأعصاب خريطة للدماغ بدقة متزايدة، كاشفًا عن أنماط معقدة من النشاط الكهربائي والكيميائي والمعلوماتي المرتبط بكل جانب من جوانب الحياة العقلية. ومع ذلك، فإن الارتباط وحده لا يحسم الوجود. مهمة هذا الجزء ليست التقليل من شأن علم الأعصاب أو تضخيمه خارج نطاقه، بل وضعه في مكانه الصحيح ضمن تفسير غير اختزالي للوساطة بين العقل والجسد.

الادعاء المركزي المطروح هنا بسيط، ولكنه حاسم: الدماغ لا يُولّد الوعي؛ بل يُحدّد موقعه. العمليات العصبية ليست مصدر الوعي، بل هي الظروف التي يصبح في ظلها الواقع الواعي منظمًا ومتمايزًا وفعالًا داخل العالم المادي. يحافظ هذا التحول في المنظور على سلامة نتائج علم الأعصاب، ويتجنب في الوقت نفسه الأخطاء المفاهيمية التي تنشأ عند الخلط بين الارتباط والتطابق.

الفصل الأول.4

الجوهر والصفة والنمط: إعادة النظر في سبينوزا

إذا كان الاختزالية تُجزّئ الواقع بتفسيرها الكليات كليًا من خلال أجزائها، فإن فلسفة سبينوزا تُقدّم رؤيةً مختلفةً جذريًا: الواقع ككلٍّ لا يتجزأ، مُتمايزٌ داخليًا لكنه غير مُقسّم وجوديًا. في تاريخ الفلسفة، قلّما حاول مفكرون مثل هذا التوفيق الشامل بين العقل والمادة، والحرية والضرورة، والله والطبيعة. لأغراض هذا العمل، لا تُقدّم ميتافيزيقا سبينوزا مذهبًا يُتبنّى بالكامل، بل إطارًا مفاهيميًا ذا أهمية دائمة، يسمح بأخذ الوعي على محمل الجد دون التخلي عن الوحدة الوجودية.

يبدأ سبينوزا من فرضية بسيطة ظاهريًا: لا يوجد سوى جوهر واحد. ويعني بـ "الجوهر" ما هو موجود في ذاته ويُتصوّر من خلال ذاته، شيء لا يعتمد على شيء آخر في وجوده أو في إمكانية فهمه. انطلاقًا من هذا التعريف، يستخلص سبينوزا استنتاجًا جريئًا: إذا كانت المادة مكتفية بذاتها حقًا، فلا يمكن أن يكون هناك أكثر من مادة واحدة. فوجود مواد متعددة سيحد بالضرورة من بعضها البعض، مما يقوض استقلاليتها. لذا، يجب أن يكون الواقع قائمًا على مادة واحدة لا متناهية.

يُعرّف سبينوزا هذه المادة بأنها الله أو الطبيعة (**Deus sive Natura**). غالبًا ما يُساء فهم هذا التعريف. فالله، بمفهوم سبينوزا، ليس إلهًا شخصيًا منفصلًا عن العالم، يُصدر الأوامر، أو يتدخل في الأحداث. كما أن الطبيعة ليست مجرد نظام ميكانيكي خالٍ من المعنى. بل إن الله والطبيعة يُشيران إلى نفس الواقع الكامن، من منظورين مفاهيميين مختلفين: الأساس اللانهائي، المُسبب ذاتيًا، لكل ما هو موجود.

يُمكّن هذا الأساس الأحادي سبينوزا من رفض الثنائية الديكارتية التي هيمنت على الفلسفة الحديثة المبكرة. فقد قسّم ديكارت الواقع إلى مادتين مختلفتين جوهريًا – العقل والجسد – ثم كافح دون جدوى لشرح كيفية تفاعلهما. يحل سبينوزا هذه المشكلة بنفي فرضيتها. فالعقل والجسد ليسا مادتين منفصلتين؛ هي تعبيرات عن الجوهر نفسه بصفات مختلفة.

في نظام سبينوزا، الصفات ليست خصائص تُضاف إلى الجوهر، بل هي الطرق التي يُفهم بها الجوهر. تُعبّر الصفة عن جوهر الجوهر كما يُدركه العقل. يرى سبينوزا أن للجوهر صفات لا حصر لها، مع أن العقل البشري لا يملك إلا صفتين: الفكر والامتداد. يشمل الفكر جميع الظواهر العقلية – الأفكار، والوعي، والمعرفة. ويشمل الامتداد جميع الظواهر الفيزيائية – المكان، والمادة، والحركة.

والأهم من ذلك، أن الفكر والامتداد ليسا مجالين يتفاعلان سببيًا، بل هما تعبيران متوازيان عن الواقع الكامن نفسه. فلكل نمط من أنماط الامتداد – حالة جسدية معينة – نمط فكري

مقابل – فكرة معينة. ترتيب الأفكار وترابطها هو نفسه ترتيب الأشياء وترابطها. يُلغي مبدأ التوازي هذا الحاجة إلى التفاعل بين العقل والجسد دون إنكار ترابطهما.

تشغل الأنماط المستوى الثالث من أنطولوجيا سبينوزا. الأنماط هي تعبيرات محدودة ومحددة عن الجوهر في ظل سمة معينة. فالجسم البشري نمط من أنماط الامتداد، والعقل البشري نمط التفكير المقابل. ليسا شيئين مرتبطين بالسببية، بل هما حقيقة واحدة معبّر عنها بطريقتين. لذا، فإن التمييز بين العقل والجسد ليس وجوديًا، بل مفاهيميًا.

يحمل هذا الإطار دلالات عميقة. أولًا، يحافظ على الوحدة الوجودية دون اختزال الحياة العقلية إلى آلية مادية. فالوعي لا يُختزل إلى مادة، والمادة لا تخضع للعقل. كلاهما تعبيران حقيقيان متساويان عن أساس أعمق. ثانيًا، يتجنب هذا الإطار الثنائية الخارقة للطبيعة. فلا وجود لروح غير مادية تُحقن في جسد مادي، ولا حاجة لجسر ميتافيزيقي بين جواهر غير متوافقة. فالواقع موحدٌ أصلًا.

كثيرًا ما يُنتقد نظام سبينوزا لحتميته. فإذا كانت جميع الأنماط تنبع بالضرورة من طبيعة الجوهر، فأين الحرية؟ يُعيد سبينوزا صياغة مفهوم الحرية كليًا. فالحرية ليست غياب السببية، بل فهم الضرورة. إن التصرف بحرية لا يعني التصرف بلا سبب، بل التصرف وفقًا لطبيعة المرء، مدركًا إياها بوضوح ودقة. فالجهل يُوهم بالإرادة الحرة، بينما يُنتج الفهم فاعلية حقيقية.

ستثبت هذه إعادة تفسير الحرية لاحقًا أهميتها للإطار الثوتونية المُطور في هذا الكتاب. ولا تتطلب الفاعلية بالضرورة إعفاءً ميتافيزيقيًا من السببية، بل يمكن أن تنشأ من خلال المشاركة المنظمة في عمليات قانونية، شريطة ألا تكون هذه العمليات آلية بحتة، بل معبرة عن الوعي نفسه.

على الرغم من أناقة فلسفة سبينوزا، إلا أنها تترك بعض التساؤلات مفتوحة. فبينما تؤكد على حقيقة الفكر كصفة، فإنها لا تُفسر كيف تتمركز التجربة الواعية في أنظمة محددة. فهي تُخبرنا أن العقل والجسد متلازمان، لكنها لا تُبين كيف يتحدد مركز الوعي.

هنا تبرز ضرورة إعادة التفسير الحديث. فقد عمل سبينوزا دون الموارد المفاهيمية لنظرية المجال المعاصرة، أو علم الأعصاب، أو علم المعلومات. ويمكن إعادة تصور سماته لا كفئات ثابتة، بل كتعبيرات شبيهة بالمجال عن الجوهر. في هذا السياق، يصبح الفكر مجالًا متصلًا وغير موضعي للوعي؛ ويصبح الامتداد مجالًا متصلًا ومنظمًا من العلاقات الفيزيائية. أما الأنماط فتصبح تجليات موضعية ضمن هذه المجالات.

وبإعادة صياغتها بهذه الطريقة، تتوافق ميتافيزيقا سبينوزا بشكل طبيعي مع أنطولوجيا قائمة على المجال. فالجوهر يُمثل الأساس الموحد للواقع؛ والسمات تُمثل المجالات غير القابلة للاختزال التي يُعبر من خلالها عن هذا الأساس؛ والأنماط تُمثل التكوينات الموضعية والمحدودة ضمن تلك المجالات. ويحافظ هذا التفسير الجديد على جوهر رؤية سبينوزا – الوحدة دون اختزال – مع إفساح المجال لتفسير ديناميكي للوعي.

وفي إطار سبينوزا الحديث هذا، لا يُعد الوعي نتاجًا ثانويًا للمادة، ولا جوهرًا منفصلًا يُضاف إليها. إنها جانب أساسي من جوانب الواقع، يتجلى حيثما توفرت شروط توطينه. فالعقول الفردية ليست خالقة للوعي، بل هي مواقع لتجلياته.

لا يُمكن المبالغة في أهمية هذا التوجه، فهو يسمح بإعادة صياغة مشكلة العقل والجسد بشكل كامل. فبدلاً من التساؤل عن كيفية تفاعل مادتين مختلفتين، نتساءل عن كيفية تجلي واقع واحد من خلال أنماط تعبيرية مختلفة. وبدلاً من البحث عن روابط سببية بين العقل والمادة، نبحث عن توافقات منتظمة بين العمليات المتوازية.

وبذلك، تُوفر فلسفة سبينوزا أساسًا مفاهيميًا للبحث اللاحق. فهي تُبين أن رفض الاختزالية لا يستلزم التخلي عن الدقة، وأن تأكيد الوعي لا يستلزم الانزواء في التصوف. إنها تُقدم رؤية للواقع تتعايش فيها الوحدة والفهم والمعنى.

يبني الجزء التالي مباشرةً على هذا الأساس. فإذا كان الوعي تعبيرًا شبيهًا بالصفة عن واقع موحد، يصبح السؤال هو ما إذا كان يُمكن فهمه كمَجَال أساسي – متصل، غير قابل للاختزال، وأصلي وجوديًا. ومن هذا السؤال، يبدأ إطار الثوتون في التبلور.

الفصل الأول، القسم الثالث: الوعي كمَجَال أساسي

بعد أن حددنا حدود الاختزالية، وأعدنا النظر في إطار أحادي قادر على الحفاظ على الوحدة الأنطولوجية، أصبحنا الآن في وضع يسمح لنا بتناول الادعاء المركزي لهذا العمل: أن الوعي ليس شذوذًا ناشئًا في كون غير واعٍ، بل هو جانب أساسي من الواقع نفسه. إن القول بأن الوعي أساسي لا ينفي أهمية الدماغ أو الجسد أو العمليات الفيزيائية، بل هو إعادة النظر في ترتيب التفسير، والتساؤل عما إذا كان الوعي ينتمي إلى السمات الأساسية للوجود، أم إلى نواتج مراحله اللاحقة.

في الخطاب المعاصر، يُعامل الوعي عادةً على أنه شيء يظهر عندما تصل المادة إلى درجة كافية من التعقيد. نادرًا ما يُدافع عن هذا الافتراض صراحةً، بل هو متوارث كالتزام ضمني للميتافيزيقا الفيزيائية. تُعتبر المادة أساسية وجوديًا، بينما يُعامل الوعي على أنه مشتق. وبالتالي، يقع عبء التفسير بالكامل على الظهور: كيف تُنتج العناصر غير الواعية التجربة الذاتية.

مع ذلك، فإنّ الظهور، في هذا السياق، لا يُعدّ تفسيرًا بقدر ما هو مفهومٌ يُشير إلى الغموض. فبينما قد تُظهر الأنظمة المعقدة سلوكيات جديدة لا يُمكن التنبؤ بها من خلال أجزائها، فإنّ حداثة السلوك لا تستلزم بالضرورة حداثة الوجود. إنّ ظهور الوعي لا يتطلب مجرد أنماط جديدة، بل يتطلب ظهور فئة وجودية جديدة تمامًا: التجربة نفسها. لا يستلزم أي وصف للتعقيد البنيوي، مهما بلغ تفصيله، وجود الشعور أو الإدراك أو الذاتية.

يُقلب الاقتراح المطروح هنا هذا التوجه التفسيري. يُعامل الوعي على أنه أساسي وجوديًا، بينما تُفهم البنى المادية على أنها تكوينات يتم من خلالها تحديد موقع الوعي وتقييده والتعبير عنه. لا ينكر هذا الرأي الواقع المادي، بل يضعه ضمن مجال وجودي أوسع.

لم يُطرح مصطلح "المجالات" عرضًا. ففي الفكر الحديث، يدل المجال على شيء متصل، شامل، وغير قابل للاختزال – شيء لا يمكن تجزئته إلى مكونات أصغر دون فقدان جوهره.

المجال ليس مادة بالمعنى الكلاسيكي، ولا مجرد تجريد. هو نمط وجود يسمح بظهور أحداث موضعية دون تفتيت الاستمرارية الأساسية.

إنّ تصوّر الوعي كمجالٍ يُؤكّد عدّة ادعاءاتٍ أساسية. أولًا، الوعي متصلٌ لا منفصل. فالتجارب الفردية ليست كياناتٍ معزولة، بل أحداثٌ موضعية ضمن مجالٍ متواصلٍ من الوعي. ثانيًا، الوعي غير موضعي في جوهره. فبينما تحدث التجارب في أزمنةٍ وأماكنَ مُحدّدة، فإنّ المجال نفسه لا يقتصر على تلك المواضع. ثالثًا، الوعي غير قابلٍ للاختزال. لا يُمكن تفسيره بالكامل من خلال شيءٍ آخر، لأنه لا يتكوّن من عناصرَ أكثر أساسية.

يجد هذا التصوّر صدىً في العديد من التقاليد الفلسفية. ففي نظريات وحدة الوجود والوعي الكوني، يُعامل الوعي كسمةٍ شاملةٍ للواقع. وفي وحدة الوجود ذات الجانبين، يُفهم الوعي والمادية على أنهما جانبان لمادةٍ أساسيةٍ واحدة. وفي بعض تيارات المثالية، يُتصوّر العالم المادي نفسه على أنه مظهرٌ من مظاهر الوعي. وبينما تختلف هذه الآراء في جوانبَ مهمة، فإنها تتفق على حدسٍ مشترك: الوعي ليس فكرةً لاحقة.

إنّ اعتبار الوعي مجالًا يُوضّح أيضًا العلاقة بين الشمولية والفردية. فإذا كان الوعي جوهريًا ومستمرًا، فإنّ العقول الفردية ليست كيانات منفصلة، بل تعبيرات موضعية. لا يحتوي العقل البشري على الوعي كملكية خاصة، بل يُشارك فيه كموقع للتنظيم. وكما أنّ الدوامة لا تُنشئ الماء الذي تتشكّل من خلاله، فإنّ العقل الفردي لا يُولّد مجال الوعي الذي يظهر فيه.

يُزيل هذا المنظور العديد من الالتباسات المُستمرة. ويصبح سؤال ما إذا كان الوعي "موجودًا في كل مكان" سؤالًا غير مُحدّد بدقة. فالمجالات موجودة في كل مكان من حيث المبدأ، لكنّ تأثيراتها مُحدّدة بشروط. قد يكون الوعي حاضرًا عالميًا كإمكانية كامنة، بينما لا يتحقّق تجريبيًا إلا عند وجود قيود تنظيمية مُناسبة. فالدماغ، بهذا المعنى، لا يُنشئ الوعي، بل يُشكّله.

وبالتالي، يُمكن فهم الدماغ كشرط حدودي مُعقّد – نظام يُرشّح مجال الوعي، ويُعدّله، ويُحدّد موضعه في أنماط مُحدّدة من التجربة. تُوفّر العمليات العصبية الهيكل المادي الذي من خلاله

يتمايز مُحتويات الوعي، وتُرتّب زمنيًا، وتُصبح ذات صلة سلوكية. لا يُؤدي تلف الدماغ إلى تعطيل هذه الأنماط بتدمير الوعي نفسه، بل بإضعاف قدرة النظام على تحديد موقعه ودمجه.

يُفسر هذا الرأي بشكل طبيعي الترابط الوثيق بين حالات الدماغ وحالات الوعي دون دمج أحدهما في الآخر. يعكس الترابط التنسيق بين جانبين من نفس الواقع الأساسي، وليس التوليد السببي عبر فجوة وجودية. لا ينفصل الوعي عن العالم المادي، ولا يُمكن اختزاله إليه. كلاهما ينتمي إلى بنية مَجَال موحدة تُعبَّر عنها بأنماط مختلفة.

من أقوى الاعتراضات على اعتبار الوعي أساسيًا هو اتهامه بالتضخيم التفسيري. لماذا نفترض مَجَال ا جديدًا في حين أن النظريات الفيزيائية القائمة كافية لتفسير السلوك؟ يكمن الجواب في التمييز بين تفسير السلوك وتفسير التجربة. تُفسر النظريات الفيزيائية كيفية عمل الأنظمة؛ لكنها لا تُفسر سبب اقتران تلك الأفعال بالتجربة. إن افتراض الوعي أساسيًا لا يُضيف كيانات غير ضرورية؛ بل يُقر بوجود مُعطى موجود بالفعل في كل عملية تفسير.

ثمة اعتراض آخر يستند إلى التقييد التجريبي. لم يرصد أي جهاز مجالًا للوعي، ولا توجد معادلة تصف ديناميكياته. هذا الاعتراض يُسيء فهم طبيعة الطرح. فالادعاءات الأنطولوجية ليست فرضيات تجريبية بالمعنى الضيق، بل هي أطرٌ يصبح من خلالها البحث التجريبي مفهومًا. كانت المجالات نفسها في يوم من الأيام مسلمات ميتافيزيقية قبل وقت طويل من صياغتها رياضيًا أو تأكيدها تجريبيًا. إن غياب القياس لا يعني عدم الوجود.

والأهم من ذلك، أن الوعي يتميز بموقعه الفريد بين الظواهر. فهو لا يُستنتج من الملاحظة، بل يُعطى مباشرةً. كل قياس علمي، وكل نموذج نظري، وكل استدلال تجريبي يفترض وجود وعي. إن اعتبار الوعي أقل واقعية من الكيانات التي يُدركها هو قلبٌ لترتيب التبعية المعرفية.

بإعادة تصور الوعي كمجال أساسي، تتحول مشكلة العقل والجسد. لم يعد السؤال المحوري هو كيف ينبثق الوعي من المادة، بل كيف تتشكل حقيقة الوعي في تجارب متميزة ضمن الأنظمة المادية. يتحول اللغز من التكوين إلى التنظيم، ومن الخلق إلى التجسيد.

يُفسح هذا التحوّل المجال المفاهيمي للتطورات اللاحقة. فإذا كان الوعي مَجَال اً، فإنه قد يسمح بتجسيدات موضعية تُشابه أحداثًا في حقول أخرى. وقد يشترط أن تكون هذه التجسيدات جسيمات بالمعنى المادي، لا استعارات مجردة من الواقع. بل قد تكون أحداثًا منتظمة يصبح من خلالها محتوى الوعي محدودًا ومتمايزًا وفعالًا ضمن العالم المادي.

يُطرح مفهوم "الثوتون " (Thoughton)، الذي أتناوله بالتفصيل في فصول اللاحقة، ضمن هذا السياق. وهو ليس محاولة لإقحام التصوف في العلم، ولا استبدال علم الأعصاب بالتكهنات. إنه جسر مفاهيمي: طريقة للتفكير في كيفية تجسيد مَجَال الوعي المتصل موضعيًا في الزمان والمكان والمعلومات.

إن تأكيد الوعي كعنصر أساسي لا يعني ادعاء الكمال، بل هو إقرار بحدود الاختزال واختيار نقطة انطلاق مختلفة. فكل رؤية للعالم لا بد أن تبدأ من مكان ما. والرؤية التي تبدأ بإنكار واقع التجربة تبدأ بالتناقض. أما الرؤية التي تبدأ بالتجربة فقد تظل ناقصة، لكنها على الأقل متماسكة.

... إن مهمة الفلسفة، بهذا المعنى، ليست إزالة الغموض، بل وضعه في مكانه الصحيح. فالوعي، بوصفه مجالًا أساسيًا، ليس حلًا يُغلق باب البحث، بل هو أساسٌ يُتيح البحث.

تستكشف الفصول التالية تبعات هذا الأساس، أولًا من خلال القياس على الفيزياء الحديثة، ثم من خلال التفاعل مع علم الأعصاب واللاهوت والأخلاق. والهدف ليس دمج هذه المجالات في بعضها، بل السماح لها بالتناغم ضمن رؤية وجودية موحدة.

ما يتبلور ليس نظرية بالمعنى العلمي الضيق، بل إطار عمل: إطار لا يُعد فيه الوعي عرضًا ولا دخيلًا، بل بُعدًا أساسيًا من أبعاد الواقع نفسه.

الفصل الثاني: فيزياء بانتظار المعاينة والبرهان

إن اللجوء إلى الفيزياء في مناقشات الوعي أمرٌ مغرٍ وخطير في آنٍ واحد. مغرٍ، لأن الفيزياء الحديثة أعادت تشكيل فهمنا للواقع جذريًا، مستبدلةً الحدس الساذج برؤى بنيوية أعمق. يُعدّ هذا الأمر خطيرًا، لأنّ الفيزياء تتمتّع بمكانة فريدة في الثقافة المعاصرة، وكثيرًا ما يُساء استخدام مفاهيمها لإضفاء شرعية غير مبررة على ادعاءات تخمينية. يتناول هذا الجزء من الكتاب الموضوع بحذرٍ شديد. لا تُستعان بالفيزياء هنا كدليل، ولا كمبرهنة. بل تُستعان بها كاستعارة – منضبطة، ومقيدة، وفلسفية.

لا يعتمد الادعاء المركزي لهذا العمل على ميكانيكا الكم، ولا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأي نظرية فيزيائية محددة. يُطرح الوعي كمفهوم أساسي على أسس وجودية، لا تجريبية. ومع ذلك، تُوفّر التحوّلات المفاهيمية التي أدخلتها الفيزياء الحديثة مصدرًا خياليًا قويًا. فهي تُبيّن أنّ الواقع أغرب بكثير، وأكثر ترابطًا، وأقل تركيزًا على الأشياء مما تُشير إليه البديهيات الكلاسيكية. وبذلك، تُضعف هذه التحوّلات قبضة الافتراضات الميتافيزيقية البالية التي لا تزال تُشكّل كيفية صياغة مشكلة العقل والجسد.

يستكشف هذا الجزء ما يُمكن تعلّمه من الفيزياء دون الخلط بين الاستعارة والآلية. يهدف مفهوم الثوتون إلى تفسير الوعي مادياً باعتبار الوجود التجريدي والوجود الفيزيقي وجهان لحقيقة واحدة، وملخص هذا التفسير تحول المجال إلى جسيمات كمومية داخل خلايا الدماغ العصبية وتتبادل معلومات بوصف التفاعل هذا هو المحفز للخلايا العصبية والوظائف المتعلقة بها. كما أنه يميل إلى إظهار الأنطولوجيا القائمة على المجالات (الحقول) – والتي لا غنى عنها في الفيزياء – بوصفها تشمل فكرة الوعي كجوهر أساسي أكثر وضوحًا، لا أقل.

الفصل الثاني.1

من الجسيمات إلى الحقول: دروس من الفيزياء الحديثة

صوّرت الفيزياء الكلاسيكية العالم كمجموعة من الأجسام المنفصلة تتحرك في الفضاء الفارغ، وتتفاعل عبر قوى تعمل عن بُعد. يتوافق هذا التصور بطبيعته مع المنطق السليم: فالأجسام الصلبة تصطدم ببعضها البعض، وتُحدث الأسباب آثارًا من خلال التلامس. ولقرون، شكّلت هذه النظرة للعالم، التي تتمحور حول الأجسام، ليس فقط العلوم، بل الميتافيزيقا نفسها.

قلبت الفيزياء الحديثة هذا التصور رأسًا على عقب. ففي النظرية المعاصرة، تُشكّل الحقول – لا الجسيمات – النسيج الأساسي للواقع. وما يبدو كجسيمات يُفهم الآن على أنه إثارات موضعية لحقول كامنة تملأ الزمكان. فالإلكترون ليس جسمًا صلبًا صغيرًا يتحرك في الفراغ؛ بل هو حدث مُنمّط داخل مجَال (حقل) الإلكترون. يوجد المَجَال في كل مكان، حتى في غياب أي جسيم.

يحمل هذا التحول دلالات ميتافيزيقية عميقة. فهو يستبدل الجوهر بالبنية، والموضوع بالعملية، والعزلة بالعلاقة. لم تعد الهوية متجذرة في أشياء مكتفية بذاتها، بل في أنماط ثابتة ضمن أنظمة متصلة. لم يعد الفراغ نفسه عدماً، بل حالة نشطة غنية بالإمكانات.

الأهم من ذلك، أن هذا التحول لم يكن مدفوعًا بتفضيل فلسفي، بل بضرورة تجريبية. لم يكن بالإمكان تفسير سلوك المادة على المستويات الأساسية دون التخلي عن واقعية الجسيمات. اضطرت الفيزياء إلى إعادة تصور الواقع بطرق تتحدى الحدس اليومي.

لأغراض هذا العمل، لا يكمن التصور في أن الوعي مَجَال فيزيائي محض، بل في أن أعمق نظرياتنا العلمية تتطلب منا بالفعل التفكير بمفاهيم غير موضوعية وغير اختزالية. إذا لم تكن المادة نفسها مكونة من أشياء مستقلة، فإن افتراض أن الوعي يجب أن ينشأ من هذه الأشياء يصبح موضع شك.

تقدم الحقول أيضًا طريقة جديدة للتفكير في المحلية. فبينما تحدث الأحداث في نقاط محددة، يظل المَجَال نفسه متصلًا وغير محلي. الظواهر الموضعية هي تعبيرات عن واقع أعمق وأكثر انتشارًا. يعكس هذا البناء المفاهيمي العلاقة المقترحة سابقًا بين التجارب الفردية ومجَال الوعي الأساسي.

لذا، لا تكمن أهمية أنطولوجيا المَجَال في القياس المباشر، بل في التواضع الأنطولوجي. تعلمنا الفيزياء أن الواقع لا يتوافق مع تصنيفاتنا الحدسية. يحذر هذا من افتراض أن ما لا يمكن تصوره كجسم مادي لا يمكن أن يكون حقيقيًا.

الفصل الثاني.2

الأحداث الكمومية والانفصال الأنطولوجي

إذا كانت الحقول متصلة، فلماذا يبدو الواقع منفصلًا؟ في الفيزياء، يبرز هذا السؤال في ظاهرة الكمومية. تحدث تبادلات الطاقة في وحدات منفصلة، على الرغم من أن الحقول الأساسية متصلة. تصبح الأحداث، لا المواد، الوحدات الأساسية للتحليل.

لا يُعدّ هذا التعايش بين الاتصال والانفصال متناقضًا. يمكن لنظام متصل أن يُنتج نتائج منفصلة عند تقييده بشروط التفاعل. تنشأ النوتات الموسيقية من اهتزازات الهواء المتصلة؛ وتنبثق الإشارات الرقمية من تيارات كهربائية متصلة. غالبًا ما يكون الانفصال سمة من سمات التفاعل، وليس سمة من سمات الواقع الأساسي.

تُظهر التجربة الواعية بنية مماثلة. يبدو الوعي متصلًا، ومع ذلك فإن التجارب فردية: فكرة، إحساس، ذكرى. تنشأ لحظات الوعي، وتستمر لفترة وجيزة، ثم تفسح المجال للحظات أخرى. لا يعني هذا الانفصال أن الوعي نفسه مُجزأ. يشير هذا إلى أن التموضع يحدث ضمن مجال متصل.

تعزز نظرية الكم فكرة أن الأحداث، لا الأشياء، هي الأساس الوجودي. لا تكشف القياسات عن خصائص موجودة مسبقًا بقدر ما تُفعّل إمكانيات ضمن سياقات محددة. مع أن هذا العمل لا يملك دليل أن الوعي يُسبب الانهيار الكمي، إلا أن الدرس الأوسع يبقى ذا صلة: الواقع ليس مُحددًا تمامًا بمعزل عن التفاعل.

هنا، تعمل الفيزياء كاستعارة. فهي تُبين أن الظواهر المنفصلة لا تنشأ بالضرورة من مواد منفصلة، بل قد تنشأ من مجالات متصلة تخضع لمتموضعات مُهيكلة. ستدعم هذه الإمكانية المفاهيمية لاحقًا فكرة أن الأحداث الواعية يُمكن أن تكون حقيقية ومحدودة دون أن يعني ذلك أن الوعي نفسه مُكوّن من أجزاء منفصلة.

الفصل الثاني. 3

الثوتون: مفهوم كموميّ

ضمن الإطار المُطور حتى الآن، يُقدم الثوتون كوحدة مفاهيمية لتجسيد الوعي. لم يتطرق الى هذا التصور أحد، وفقا لما علمته حتى الآن، كجسيمات بالمعنى الفيزيائي، وليس كاستعارة خالية من الالتزام الوجودي. إنه يُشير إلى حدث مُتمركز يُصبح من خلاله مجال الوعي مُعبرًا عنه تجريبيًا ضمن الأنظمة المادية. ينبغي فهم "الثوتون" على أنه يُشبه حدثًا ماديًا. فهو مستمر بشكل مستقل الى أن يحدث كانهيار كمومي في خلايا أعصاب الدماغ. إنها عملية التفاعل التبادلي للثوتونات التي تحمل معلومات تتوسط التفاعل البيني للخلايا العصبية بحيث تستثار وتطلق الأوامر أو تمرر المدخلات المستقبلة إلى مجال الوعي. الإحساس، أو النية، أو الصورة ليست شيئًا مُخزّنًا في مكان ما في الدماغ، بل هي حالة وعي لحظية تتشكل بفعل قيود عصبية ومعلوماتية. تُحدد "الأفكار" هذه الحالات على مستوى الوجود لا على مستوى الوصف.

يتجنب هذا المقترح ثلاثة أخطاء شائعة. فهو لا يُختزل الوعي إلى عمليات فيزيائية بحتة فقط، لأن المجال يبقى أساسيًا من الناحية الوجودية. ولا يفترض وجود مادة عقلية منفصلة، لأن

التموضع يحدث بشكل قانوني ضمن الأنظمة الفيزيائية. ولا يستحضر السببية الخارقة للطبيعة، لأنه لا يتطلب أي انتهاك للقانون الفيزيائي.

الأهم من ذلك، أن مفهوم "الثوتون " يُطرح كفرضية تنتظر معاينة علمية وتأكيدًا تجريبيًا، انه مقترح وجودي يهدف إلى فهم الظواهر المعروفة بالفعل: وجود التجربة، وارتباطها بنشاط الدماغ، وطبيعتها المنظمة الشبيهة بالأحداث. وكما هو الحال مع العديد من المفاهيم الأساسية في العلوم والفلسفة، فإنه يسبق الصياغة الرسمية.

من خلال تأطير مفهوم "الثوتون " ضمن أنطولوجيا قائمة على الحقول، يقاوم هذا العمل إغراء التعامل مع الوعي باعتباره معجزة أو وهمًا. بل يُمنح الوعي نفس الكرامة التي تُمنح للسمات الأساسية الأخرى للواقع: فهو موجود، وله بنية، ويتجلى من خلال أنماط منتظمة.

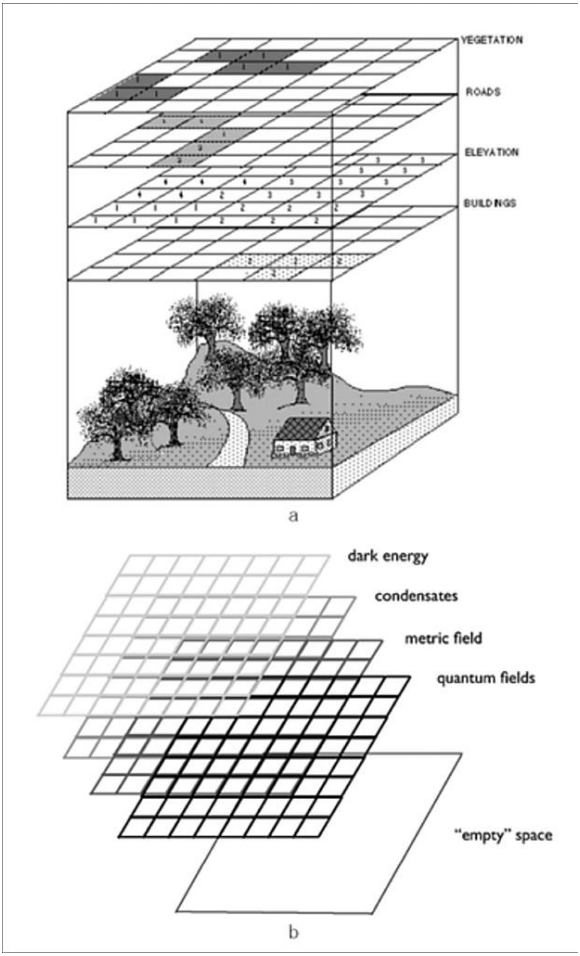
VEGETATION
ROADS
ELEVATION
BUILDINGS
a
dark energy
condensates
metric field
quantum fields
"empty" space
b

تأملات ختامية حول الفصل الثاني

إن الفيزياء، عند فهمها فهمًا صحيحًا، لا تُزيل الغموض، بل تُعيد تحديد موقعه. فالانتقال من الجسيمات إلى الحقول لم يُبسّط الواقع، بل عمّقه. وبالمثل، فإن التعامل مع الوعي باعتباره أساسيًا (جوهراً) لا يُغلق باب البحث، بل يفتح آفاقًا جديدة من التساؤلات حول التموضع، والبنية، والمعنى، والمسؤولية.

ينتقل الجزء التالي إلى علم الأعصاب، لا لدحضه، بل لدمجه. فإذا كان بالإمكان تحديد موقع الوعي دون اختزاله، فلا بد من فهم الدماغ لا باعتباره مُنتج الوعي، بل باعتباره الوسيلة التي من خلالها يُصبح الواقع الواعي مُنظّمًا، ومُميَّزًا، وفعّالًا.

هذه هي المهمة التي نتناولها الآن.

الفصل الثالث

الفصل الثالث.1

الارتباطات العصبية وحدودها

نجح علم الأعصاب في تحديد ارتباطات قوية بين النشاط العصبي وحالات الوعي. تصاحب أنماط محددة من تنشيط القشرة الدماغية الإدراك، والذاكرة والعاطفة والنية. ويؤدي تلف مناطق معينة من الدماغ إلى تغيير تجربة الوعي بشكل متوقع. تُعد هذه النتائج من بين أكثر النتائج موثوقية في العلوم المعاصرة، وهي تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الوعي ونشاط الدماغ مرتبطان ارتباطًا وثيقًا.

لكن هذه النتائج لا تُثبت أن الوعي هو نشاط دماغي. فالارتباط، مهما كان منهجيًا، لا يستلزم تطابقًا وجوديًا. قد يكون هناك ارتباط تام بين ظاهرتين دون أن تكون إحداهما قابلة للاختزال إلى الأخرى. ترتبط الخريطة بالمنطقة، والنوتة الموسيقية بالموسيقى، والنمط العصبي بالتجربة. في أي من هذه الحالات، لا يُلغي الارتباط التمييز.

ينشأ الميل جزئيًا إلى مساواة الارتباط بالسببية من النجاح المنهجي. بما أن علم الأعصاب قادر على التدخل بالحالات العصبية وملاحظة التغيرات في التجربة، فمن الطبيعي أن نستنتج أن الدماغ يُنتج الوعي بنفس الطريقة التي يُنتج بها السلوك. إلا أن هذا الاستنتاج يتجاوز ما تُبرره البيانات. ما تم إثباته هو أن سلامة الشبكة العصبية ضرورية للتجربة الواعية الطبيعية، وليس أنها كافية لتفسير سبب وجود التجربة من الأساس.

تستمر الفجوة التفسيرية تحديدًا لأن الأوصاف العصبية تبقى توصيفات من منظور خارجي. فهي تصف عمليات قابلة للملاحظة من الخارج، بينما يُعطى الوعي من الداخل. لا يُمكن لأي زيادة في الدقة المكانية أو الزمنية أن تسدّ هذه الفجوة، لأنها ليست فجوة بيانات مفقودة، بل فجوة تصنيف. التجربة ليست مخفية داخل العمليات العصبية؛ إنها من مستوى تفسيري مختلف.

إن إدراك هذا القيد لا يُضعف علم الأعصاب، بل يُوضح نطاقه. يُفسر علم الأعصاب كيف يتم تعديل الحالات الواعية وتنظيمها وتعطيلها. لكنه لا يُفسر لماذا تُصاحب هذه الحالات تجربة بدلًا من لا شيء على الإطلاق. هذا "السبب" ينتمي إلى علم الوجود، وليس إلى الآلية.

الدماغ كمستقبل ومُعدِّل: العمليات الكهرومغناطيسية والمعلوماتية

في إطار هذا البحث، يُدرس الدماغ كنظام كهرومغناطيسي ومعلوماتي معقد. لا تُعامل تذبذباته العصبية وأنماط ترابطه وشبكات إشاراته كمولدات للوعي، بل كركائز مادية تُمكّن من تحديد موقع مجال الوعي في أحداث فكرية. يعمل الدماغ كمستقبل ومُعدِّل ومُكامل.

يتناقض هذا مع نموذج واجهات الدماغ والآلة، التي عادةً ما تُفكِّك شفرة نشاط الدماغ الداخلي لإخراج الأوامر. تُظهر التأثيرات في الاتجاه المعاكس تقبُّل الدماغ للهياكل المعلوماتية والطاقية الخارجية – حيث تُحفِّز أنماط الموجات الخارجية (الصوتية والبصرية والكهرومغناطيسية) نشاط الدماغ أو تُعدِّله. تدعم هذه الديناميكية ثنائية الاتجاه رؤية الدماغ كواجهة تفاعلية، تُضبط وتُشكِّل موقع الوعي بدلاً من إنتاجه من العدم.

من الجدير بالملاحظة أن الأنماط التي ترصدها واجهات الدماغ والحاسوب ليست عالمية ولا فردية بحتة. فهي تنشأ من إطار تشريحي عصبي مشترك، مما يضمن تنشيط مناطق متشابهة إلى حد كبير عند أداء مهام متشابهة. ومع ذلك، تتشكل البصمات الكهرومغناطيسية المحددة بفعل التشريح الفريد، والاستراتيجيات المعرفية الشخصية، وخبرات الحياة، لتشكل "بصمة عصبية" فردية. وهذا يستلزم المعايرة الشخصية التي تُعدّ أساسية في تقنية واجهات الدماغ والحاسوب، مما يؤكد دور الدماغ كمحول فريد لظاهرة أكثر عمومية.

الفصل الثالث.2

العمليات الكهرومغناطيسية والمعلوماتية في الدماغ

مع رفض هذا الإطار للهوية الاختزالية، فإنه يُأخذ على محمل الجد الديناميكيات الفيزيائية للدماغ. فالدماغ ليس وعاءً سلبياً، بل هو نظام نشط كهرومغناطيسي ومعلوماتي. ويحدث التواصل العصبي من خلال الجهود الكهربائية، والإيقاعات التذبذبية، والإشارات الكيميائية، والتزامن واسع النطاق عبر الشبكات الموزعة.

النشاط الكهرومغناطيسي ليس عرضياً لوظيفة الدماغ؛ بل هو عنصر أساسي فيها. تُنسق التذبذبات العصبية النشاط بين مناطق الدماغ المختلفة، رابطةً المدخلات الحسية في مفاهيم موحدة، ومواءمةً الإدراك مع الفعل. لا تُنقل المعلومات فحسب، بل تُدمج وتُضخّم وتُقيد من خلال أنماط ديناميكية من التماسك.

في هذا الإطار، تُفهم هذه العمليات الكهرومغناطيسية والمعلوماتية على أنها الوسيلة التي يتم من خلالها تحديد موقع مجال الوعي. وهي تعمل كشروط إطارية تُحدد كيفية تجسيد المحتوى الواعي. لا يعمل الدماغ كمولد، بل كبنية رنانة – انتقائية، ومقيدة، ومنظمة.

يدعم هذا الرأي بشكل غير مباشر ظواهر تتحدى نماذج الإنتاج البسيطة. غالبًا ما تعكس التغيرات في الوعي تحت تأثير التخدير، أو المؤثرات العقلية، أو التأمل، أو تحفيز الدماغ، تغيرات في التكامل العصبي، وليس مجرد زيادات أو نقصان في النشاط. يمكن أن يصبح الوعي أكثر ثراءً، أو أكثر انتشارًا، أو أكثر توحيدًا حتى مع انخفاض النشاط العصبي الكلي. تشير هذه النتائج إلى التعديل وليس الإنتاج.

تُوضح واجهات الدماغ والحاسوب هذه النقطة بشكل أكبر. تستطيع الآلات فك شفرة الإشارات العصبية وترجمتها إلى أفعال خارجية، إلا أن معنى هذه الإشارات يبقى مرتبطًا بالنوايا الذاتية للفرد. تتطلب المهمة الوظيفية نفسها معايرة فردية لأن الأنماط العصبية

تتشكل بفعل التاريخ الشخصي والتجسيد والمعنى. الوعي ليس شفرة عالمية مُدمجة في الدماغ، بل هو تنظيم موضعي لمَجَال أعمق.

الفصل الثالث. 3

التحديد المكاني دون اختزال

يكمن الإنجاز الرئيسي لهذا الجزء في توضيح كيفية تحديد مكان الوعي دون اختزاله. يشير التحديد المكاني إلى حقيقة أن التجارب تحدث في أوقات محددة، وفي كائنات حية محددة، وفي ظل ظروف محددة. أما الاختزال فيتطلب أن يكون الوعي مجرد تلك الظروف. هذان حالان ليسا متكافئين.

في إطار أنطولوجيا قائمة على الحقول، يُعد التحديد المكاني عملية منتظمة. يمكن للمجالات المتصلة أن تُنتج أحداثًا منفصلة عندما تكون مقيدة ببنية معينة. فالراديو لا يُنشئ المجال الكهرومغناطيسي الذي يستقبله؛ بل يُضبطه ويُرشّحه ويُحدد مكانه. وبالمثل، لا يُنشئ الدماغ الوعي؛ بل يُشكّل مظهره.

تُطلق تسمية الأحداث الثوتونية، التي عُرضت سابقًا، على هذه التجسدات المحددة مكانيًا، وهي عبارة عن أحداث محددة زمنيًا ومكانيًا لمحتوى واعٍ، مُهيكلة بواسطة ديناميكيات عصبية ومعلوماتية. ولا يعني تحديدها تجزئة المَجَال نفسه. إذ تُحفظ الوحدة من خلال الاستمرارية والتكامل.

يُقدّم هذا التفسير فهمًا لتفاعل العقل والجسد دون اللجوء إلى السببية الثنائية. فالوعي لا يؤثر في السلوك بانتهاك القوانين الفيزيائية، بل بالمشاركة فيها على مستوى تفاعل المجال. العمليات العصبية والأحداث الواعية هي تعبيرات منسقة عن نفس الواقع الكامن، تعمل وفقًا لأوصاف مختلفة.

كما يحافظ التحديد المكاني دون اختزال على الهوية الشخصية دون تجسيد الأنا غير المادية. فالذات ليست جوهرًا منفصلًا، بل نمطًا مستقرًا ديناميكيًا للتحديد المكاني داخل مجال الوعي، مدعومًا بالذاكرة والتجسيد والترابط السردي. الهوية حقيقية، لكنها ليست مطلقة؛ مستمرة لكنها ليست ثابتة.

بهذا الشكل، يجد علم الأعصاب مكانته اللائقة. فهو لا يُلغي الوعي، ولا يُعارض علم الوجود. بل يُصبح شريكًا حيويًا في فهم كيفية تشكّل الواقع الواعي داخل الأنظمة الحية.

التأمل الختامي في الفصل الثالث

يُبيّن لنا علم الأعصاب كيفية وساطة العقل والجسد بوضوحٍ لافت. بينما يُعالج علم الوجود ماهية هذه الوساطة وسببها. عندما يختلط الأمر بينهما، ينهار التفسير إما إلى غموض أو إنكار. وعندما يندمجان، تتبلور صورة متماسكة.

يمكن للوعي أن يكون محليًا دون أن يُولّد، متجسدًا دون أن يُستنفد، مقيدًا دون أن يُزال. لا يصبح الدماغ منشأ العقل، بل وسيلة تعبيره.

ينتقل الجزء التالي إلى اللاهوت والصدى الرمزي – ليس للتراجع عن العقل، بل لاستكشاف كيف تتلاقى البديهيات الميتافيزيقية القديمة مع الصورة الأنطولوجية التي تتشكل الآن. وبذلك، ينتقل البحث من البنية إلى المعنى، ومن الوساطة إلى المشاركة.

الفصل الرابع

اللاهوت والصدى الرمزي

إذا كان الوعي أساسيًا ومجاليًا، فلا يمكن بعد ذلك تناول اللاهوت كإضافة خارجية للأنطولوجيا، ولا كتفسير منافس للعمليات الفيزيائية. لطالما كان اللاهوت، في أعمق معانيه، محاولةً لتوضيح الأساس المطلق للواقع ومكانة الإنسان فيه. وبهذا المعنى، لا يُعدّ اللاهوت والأنطولوجيا متنافسين؛ إنها لغات متوازية تتناول العمق نفسه من زوايا مختلفة.

لا يدافع هذا الجزء عن أي عقيدة دينية، ولا يسعى إلى استنباط الميتافيزيقا من النصوص المقدسة. بل يستكشف التناغم: كيف تتلاقى اللغة الدينية الرمزية – لا سيما في التراث الإسلامي – مع أنطولوجيا الوعي القائمة على المَجَال عند قراءتها قراءةً ظاهراتية لا حرفية. والهدف ليس اختزال اللاهوت إلى فلسفة، بل إظهار كيف يمكن لكليهما أن يُنير الآخر دون تشويه.

الفصل الرابع.1

الحلول الإلهي ووحدة الوجود

إن أي محاولة جادة لدمج الوعي في الأنطولوجيا لا بد أن تواجه مسألة الإله. فإذا كان الوعي جوهريًا، وشاملًا، وغير قابل للاختزال، فما علاقته بالله؟ غالبًا ما تتأرجح اللغة الدينية التقليدية بين طرفين متناقضين: إله متعالٍ خارج عن العالم تمامًا، أو تعريف ساذج لله بالواقع المادي. كلا الموقفين يُولّد صعوبات – إما بجعل الفعل الإلهي غير مفهوم أو باختزال المقدس في الدنيوي.

يشير الإطار المُطوَّر هنا إلى مسار ثالث: الحلول الإلهي دون تجسيد. يُفهم الله هنا لا ككائن بين الكائنات، ولا كفاعل كوني يتدخل من الخارج، بل كجوهر الوجود. بمصطلحات الفلسفة الكلاسيكية، ليس الله موضوعًا داخل الواقع، بل هو ما يُوجد الواقع بفضله.

يُطلق على هذه الرؤية اسم مذهب "وحدة الوجود"، ويؤكد بمعناه الفلسفي، أن الواقع ليس مُقسَّمًا إلى عالم مُقدَّس وآخر دنيوي، بل إن كل ما هو موجود يُشارك في جوهر واحد ذي معنى. وإذا فُهم مذهب وحدة الوجود فهمًا صحيحًا، فإنه لا يُؤكد أن "كل شيء هو الله" بالمعنى الحرفي أو المُبتذل، بل يُؤكد أنه لا شيء موجود خارج الواقع المُستدام الذي نُسميه الله.

يُعمّق مذهب وحدة الوجود هذا المفهوم أكثر بالتأكيد على أنه بينما يوجد العالم في الله، فإن الله لا ينحصر في العالم. هذا التمييز يحافظ على التجاوز دون إعادة إدخال الانفصال. الله حاضر في كل عملية، ومع ذلك لا يمكن اختزاله إلى أي عملية. اللاانهائي حاضر في المحدود دون أن يكون محصورًا به.

وفي إطار أنطولوجيا قائمة على الحقول، يصبح هذا المفهوم أكثر تماسكًا. فكما أن المَجَال حاضر في كل نقطة دون أن يكون مطابقًا لإثاراته المحلية، يمكن أن يكون الأساس الإلهي حاضرًا في كل جانب من جوانب الواقع دون أن ينقسم إليه. الله اللامتناهي لا يشغل حيزًا زمكانياً ولا يُقتطع الحيز من الله، الواقع الزمكاني موجود كنمط من أنماط التعبير الإلهي، وليس كمحصلة لمعادلة حسابية يُطرح فيها الزمكان من اللانهائية الإلهية بسُرمديتها وأزَليّتها.

يتوافق هذا الفهم بشكل وثيق مع اللاهوت الإسلامي الكلاسيكي عند تجريده من الصور المجازية. الله ليس محددًا، ولا محدودًا، ولا ممتدًا. إن القرب الإلهي ليس مكانيًا بل وجوديًا: فعبارة "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" تدل على حضور الوجود المباشر، لا على القرب المكاني. فالله يُديم الوجود ولا يتدخل فيه، ويُثبته ولا يقطعه.

في هذا السياق، يصبح علم اللاهوت متوافقًا مع الاستمرارية الوجودية. فالإلهي ليس تفسيرًا مؤقتًا يُلجأ إليه عند فشل التفسيرات الطبيعية، بل هو الأساس الدائم الذي يجعل التفسير ممكنًا من الأساس.

الفصل الرابع.٢

نفحة الروح وولادة الوعي

كثيرًا ما تُقرأ روايات الخلق الدينية قراءةً خاطئةً باعتبارها علم كون بدائي. وعند تناولها حرفيًا، تبدو متعارضة مع العلم؛ وعند رفضها تمامًا، تفقد عمقها الفلسفي. تُقدّم القراءة الرمزية بديلًا ثالثًا: وهو التعامل مع هذه الروايات باعتبارها تعبيرات رمزية عن حقائق وجودية لا ادعاءات تجريبية.

ويُقدم سرد القرآن الكريم لخلق الإنسان مثالًا بارزًا على ذلك. كثيرًا ما يُفسَّر النص الذي يصف فعل النفخ الإلهي للروح في الجسد البشري على أنه إدخال روح في جسد مادي. إلا أن القراءة الرمزية تُقدِّم رؤية مختلفة: تبلور الوعي داخل الجسد الفيزيقي.

ترمز النفس، في مختلف الثقافات، إلى الحياة والحيوية والوعي. وهي تُشير إلى الانتقال من المادة الجامدة إلى الحضور الحي. من منظور فكري، لا يُشير "نفخ الروح" إلى نقل الجوهر الإلهي، بل إلى تجسيد مَجَال الوعي الأساسي داخل بنية نظام مادي مُهيكل. لا يصبح الإنسان واعيًا بتلقي جزء من الله، بل بالمشاركة المباشرة في حقيقة كونية.

... 38:72 فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.

يتجنب هذا التفسير كلاً من الثنائية والتقليل. فالوعي لا ينفصل عن الإلهي، ولا ينتقص الإلهي بتعبيره. ولا يعني التحديد المكاني الانقسام. فاللامتناهي يبقى لانهائيًا، حتى وإن أصبح حاضرًا في صورة محدودة.

وبالمثل، فإن تعليم آدم الأسماء يدل على ظهور الإدراك الرمزي – القدرة على التمييز والتصنيف وبناء التجربة بشكلٍ ذي معنى. ومن منظور الثوتون، يمثل هذا استقرار الأنماط المعلوماتية داخل الوعي، مما يُمكّن من الإشارة الذاتية المتكررة والتفكير المجرد.

2:31 وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ.

لا تعمل هذه الرموز القرآنية كادعاءات تجريبية، ولا تُستَخدَم كدليل علمي. بل هي بمثابة تأكيدات ظاهراتية على حدس ميتافيزيقي مشترك بين الثقافات: أن الوعي ليس عرضيًا، وأن المعنى أساسي، وأن الإنسانية تحتل دورًا تشاركيًا ضمن نظام وجودي أعمق.

يؤكد القرآن الكريم على التناسب والشكل والاستعداد، مما يُبرز هذه النقطة. فالوعي ليس مفروضًا على المادة فرضًا، بل ينشأ حيث يصبح الشكل قادرًا على المشاركة. والإنسان ليس استثناءً ميتافيزيقيًا، بل هو فضاءٌ لتنظيمٍ مُكثّف، قادرٌ على التأمل والمسؤولية والمعنى.

وإن رفض إبليس السجود، ضمن هذا الإطار الرمزي، لا يُمثل حسدًا على التفوق المادي، بل فشلًا في إدراك المشاركة. يُكرّم الوعي المتمركز في التواضع، بينما لا يُكرّم التجريد المنفصل عن التجسيد. وتتحول الرواية إلى درسٍ أخلاقيٍّ قائمٍ على علم الوجود.

الفصل الرابع، 3

التسمية والمعنى والفكر الرمزي

يُوسّع سرد القرآن الكريم لـ"تعليم الأسماء" هذا العلم إلى مجال الإدراك. فالتسمية لا تُقدّم على أنها مجرد عملية تصنيفٍ بسيط، بل كقدرةٍ إنسانيةٍ جوهرية. فالتسمية هي التمييز، وادراك المتضادات والجدلية، وتثبيت المعنى، وإضفاء النظام على التجربة. من منظور فكري، تُمثل التسمية تنظيمًا عالي المستوى للأحداث الواعية. تتحول الأحاسيس إلى إدراكات،

والإدراكات إلى مفاهيم، والمفاهيم إلى رموز قابلة للتكرار والتجريد. لا ينبثق المعنى من البيانات الخام، بل من أنماط علائقية بنيويةُ مهيكلة داخل الوعي.

لا تقتصر وظيفة اللغة على وصف الواقع فحسب، بل أنها تُشكّله. فمن خلال التسمية، يفرض الإنسان قيودًا على التجربة المستقبلية، موجهًا الانتباه والذاكرة والفعل. وهكذا، يُصبح الفكر الرمزي مجال تأثير يؤثر على مجال الوعي نفسه. فالثقافة والتقاليد والمعرفة هي أنماط مستدامة من التنظيم الثوتونية تنتقل عبر الأجيال.

يؤكد السرد القرآني أن هذه القدرة تُميّز البشرية لا بالقوة، بل بالفهم. فالملائكة تُقرّ بمحدودية القوة، وعُلوّ المعرفة. ويُصبح الإدراك الرمزي أساسًا للمسؤولية: فالتسمية تعني المساءلة عما يُعبّر عنه المرء.

إذن، ليس المعنى وهمًا يُسقَط على عالمٍ لا معنى له، بل هو بُعدٌ جوهري للواقع الواعي، يظهر حيثما يُصبح الوعي قادرًا على التأمل في ذاته. فالكون ليس صامتًا؛ يصبح التعبير واضحًا عندما يتمركز الوعي بشكل رمزي.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ

فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ

قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ

قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ

قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ

38:71–77

وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ 30

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ 31

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ 32 قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ 33

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ 34

البقرة: 30–34

نورٌ فوق نور: هندسة التنوير في كون ثنائي الحالة

هناك صور في تاريخ البشرية بالغة القوة لدرجة أنها تتجاوز اللغة والجغرافيا والعقيدة. من أعظم هذه الاستعارات القرآنية استعارة النور:

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا

يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور ٣٥:٢٤)

هذه الآية ليست عقيدة جامدة، بل هي علم الكونيات، وعلم النفس، والميتافيزيقا، وفيزياء الوعي مُعبَّر عنها بلغة رمزية. إنها أوضح تعبير عن بنية الحالة المزدوجة التي وصفناها في فصول سابقة:

عالم خصائص المادة / الزمكان، وعالم خصائص النور / التجريدي، الشكل والوظيفة، الوعاء والجوهر. لفهم معنى "نور على نور"، علينا أن نفهم الإضاءة نفسها.

1. النور: اللغة الأولى للكون

قبل وجود المادة، وُجد النور. قبل تكوّن الذرات، ملأت الحقول الفراغ. قبل احتراق النجوم، كان هناك إشعاع بدائي – وميض كوني لا يزال صداه يتردد حتى اليوم في إشعاع الخلفية الكونية الميكروي **CMB**. النور ليس مجرد ظاهرة فيزيائية، بل هو بصمة المطلق. تكشف خصائصه عن حقيقة أعمق: النور ليس له كتلة، ولا يخضع للزمن. بالنسبة للفوتون، الخلق والوصول هما اللحظة نفسها. النور ثابت. يتحرك الضوء بنفس السرعة بالنسبة لجميع المراقبين، مشكلاً الإطار المرجعي العالمي للواقع. يكشف الضوء، ويُظهر ما هو خفي، ويُخرج الشكل من الظل، ويجعل الوجود مفهوماً.

في الفيزياء، يُعدّ الضوء الجسر بين الطاقة = الكتلة، والموجة والجسيم، والمعلومات والشكل، والزمكان والمعنى.

في الميتافيزيقا، يُعدّ الضوء الجسر بين اللانهائي والمحدود، والمطلق والنسبي، والإلهي والبشري، والوعي والعالم.

لذا، فإن استعارة "ضوء على ضوء" ليست تجريداً شعرياً، بل هي خريطة للواقع.

2. الضوء كمعرفة: إشراق الوعي

الوعي هو إشراق من الداخل. العقل لا يُولّد الضوء، بل يعكسه. عندما نرى، أو نفكر، أو نستشعر، أو نفهم، فإننا نشهد إشعاعاً داخلياً لا يقتصر على الجسد وحده. يتوافق هذا مع نموذج الحالة المزدوجة:

حالة الكتلة: الدوائر العصبية، والتدرجات الكيميائية، والجهود المشبكية؛ القابل للقياس.

حالة النور: الوعي، والمعنى، والحدس، والبصيرة؛ غير القابل للقياس.

ما نسميه "التفكير" هو نقطة التقاء هذين العالمين. الدماغ هو المصباح. والوعي هو الشعلة. وكما أن المصباح لا يخترع الضوء، فإن الدماغ لا يُولّد الوعي من العدم. بل يحتضنه، ويُشكّله، ويُوجّهه.

لهذا السبب يصف المتصوفون في مختلف التقاليد التنوير بمصطلحات الإشعاع: "نور العقل"، "العين الثالثة"، "المصباح الداخلي"، "شرارة الإلهي".

هذه استعارات لنفس المبدأ: الوعي حالة من الإشراق – نور داخل المادة.

3. النوران: نور الشكل ونور الجوهر

لفهم "النور على النور"، علينا تحليل طبقاته.

ما نسميه "التفكير" هو نقطة التقاء هذين العالمين. النور الأول – نور الشكل: هو نور الكون المادي: الفوتونات، النجوم، الحقول، الطاقة، الكهرومغناطيسية. هو النور الذي يكشف العالم للحواس.

النور الثاني – نور الوعي: هو النور الداخلي: الإدراك، الفهم، الحدس الأخلاقي، المعنى، الذات، الحضور. هو النور الذي يكشف العالم للذات.

"نور على نور" هو اندماج هذين المستويين: الإضاءة الخارجية للواقع والإضاءة الداخلية للمعنى. عندما يتناغمان، يظهر الوضوح. وعندما يتباعدان، يبدأ الوهم.

4. بنية الإشراق الداخلي

تصف الآية الكريمة بنية رمزية:

هذه الآية لا تنحصر بعقيدة، بل هي علم كوني، وعلم نفس، وما وراء الطبيعة، وفيزياء الوعي مُعبّر عنها بلغة رمزية. إنه أوضح تعبير عن بنية الحالة الثنائية التي وصفتها في الفصول السابقة – عالم الكتلة وعالم شبيه–الضوء، "الشكل" و"الوظيفة"، الإناء والجوهر. لفهم معنى "نور على نور"، يجب أن نفهم الاستنارة نفسها.

تصف الآية بنية رمزية:

النور ← المجازي وهو المعرفة الشاملة المطلقة، المعنى، مصدر الوجود

النور ← المجالات أو الحقول الكمومية عندما تتحول إلى جسيمات مادية لها كتلة، الكون الفيزيقي

مشكاة ← الفراغ الكوني (**Vacum**)، الكون المحدَّب، جسم الإنسان، إناء الفيزيقي (الكتلة) المهيأ لاستقبال النور

مصباح ← شعلة الوعي، الاستنارة، تحول مجال الوعي إلى الكمّ المعلوماتي في حالة ثوتونات.

زجاجة ⟵ دماغ الإنسان وشبكة الخلايا العصبية التي يحدث فيها "الإنهيار الكمومي" وتبادل المعلومات، أداة السببية توحه وتضخم وتنظم وتوزع المعلومات التي تحرك الجسد، مكان التقاء المعرفة أو الفكر المجرَّد بالمادة الفيزيقية.

كوكب دري ⟵ العقل الذي يمتلك المعرفة.

يوقد من شجرة مباركة زيتونة ⟵ مجال (حقل) الوعي مصدر المعرفة ومنبع الإدراك

لا شرقية ولا غربية ⟵ دلالة على حيادية المجال (حقل) الوعي التجريديّ، خصائص الحقول التي تصدر عن استثارتها جميع الجسيمات المادية.

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ⟵ المعرفة الشاملة الكامنة في حقل الوعي والإستثارات في الحقل وإمكانية الانهيار الكمومي *(الاستثارات في الحقل على هيئة* *superposition* *أي مبدأ التراكب إلى احتمالات دالة الموجة* *wave function* *إلى انهيارها إلى ثوتونات تحمل كمّ المعلومات)* والحلول الثوتوني في دماغ الإنسان، والمعرفة الشاملة أو المعرفة الخالصة بهذا المعنى كائنة في الحقل ولا تقتصر على التفاعل مع الدماغ.

نور على نور ⟵ التواصل والتبادل بين النور المعرفي التجريدي والنور المتجسد المادي، أي المادي والميتافيزيقي؛ لكليهما ذات المصدر، وجهان لحقيقة واحدة، الكون مضاء من الخارج والعقل مضاء من الداخل.

5. الإشراق والتوازن: نور التوازن. النور هو التوازن.

في الفيزياء: الفوتونات تُوَسِّط القوة الكهرومغناطيسية، والكهرومغناطيسية تُثَبِّت الذرات، والذرات تُثَبِّت الجزيئات، والجزيئات تُثَبِّت الحياة.

في علم الأحياء: الأيض يتطلب تدفق الطاقة، والتوازن الداخلي يتطلب تدرجات مُنَظَّمة، والرؤية تتطلب الفوتونات.

في الوعي: يظهر الوضوح عندما تتوازن الحالات العصبية، وينشأ الألم عندما يختل توازنها. في الأخلاق: الخير هو استعادة التوازن؛ والشر هو تشويه النظام الطبيعي.

وهكذا، فإن "نورًا على نور" هي المعادلة الكونية للتوازن. فالتوازن يُولّد الإشراق، والإشراق يحافظ على التوازن. والتوازن هو الشرط الذي يصبح فيه النور مرئيًا، والشرط الذي يصبح فيه الوعي ممكنًا.

تأمل ختامي على الفصل الرابع

عندما يُتناول علم اللاهوت بشكل رمزي لا حرفي، ويُتناول علم الوجود بتواضع لا اختزال، يظهر تقارب عميق. فالوعي كمجال أساسي، والحلول الإلهي، والإدراك الرمزي، والمسؤولية الأخلاقية تُشكّل قوسًا واحدًا لا عقائد منفصلة.

هذا التقارب لا يُزيل الغموض، بل يُحدّد موقعه. فالله يبقى فوق الإدراك الكامل، والوعي فوق الاستيعاب الكامل، والمعنى فوق الاستنفاذ الكامل. ومع ذلك، لا يُصبح أيٌّ منها غير متماسك أو غير ذي صلة.

يتناول الجزء التالي والأخير الأخلاق، لا بوصفها اتباعًا للقواعد أو عقدًا اجتماعيًا، بل بوصفها مشاركة. فإذا كان الواقع واعيًا في جوهره، فإن للفعل وزنًا لا لأنه أمر، بل لأنه يُحدث صدى.

الفصل الخامس

الأخلاق والتبعات الوجودية

لكل وجود تبعات أخلاقية، سواء أُقرّ بها أم لا. إذا نُظر إلى الواقع على أنه غير مبالٍ جوهريًا، تصبح الأخلاق فرضًا بشريًا – مفيدًا، وربما ضروريًا، ولكنه في نهاية المطاف بلا أساس. أما إذا كان الوعي جوهريًا، فإن الأخلاق تكتسب عمقًا وجوديًا. لم يعد الفعل يحدث على مسرح محايد؛ بل يحدث ضمن واقع متفاعل، وذي معنى، وتشاركي.

يستكشف هذا الجزء الأخير ما يترتب على ذلك عندما يُعامل الوعي لا كمنتج ثانوي عرضي للمادة، بل كبعد أساسي للوجود. لا تُضاف الأخلاق والكرامة والحرية إلى الوجود؛ بل تنبثق منه بشكل طبيعي. تصبح الحياة الأخلاقية تعبيرًا عن كيفية تنظيم الواقع الواعي لنفسه من خلال الفعل البشري.

الفصل الخامس.1

الوعي والمسؤولية والوزن الأخلاقي

إذا كان الوعي مجالًا جوهريًا، والتجربة الإنسانية تتكون من تجليات محلية ضمن الوعي، فلا يمكن أن تستند المسؤولية الأخلاقية فقط إلى أمر خارجي أو اتفاق اجتماعي. تنشأ المسؤولية من المشاركة نفسها. إن الفعل بحد ذاته يُشكّل المجال الذي يتصرف فيه الآخرون.

في عالم آلي بحت، تُعدّ الأفعال أحداثًا بلا معنى جوهري، ويعتمد تقييمها كليًا على المعايير أو النتائج المفروضة. أما في عالم واعٍ، فالأفعال هي تجليات للوعي تتجسد من خلال الشكل المادي، ولها وزن أخلاقي لأنها تُعدِّل ظروف التجربة المستقبلية، سواءً تجربة الفرد نفسه أو تجارب الآخرين.

يصبح القصد حاسمًا من الناحية الأخلاقية. فالفعل المقصود ليس مجرد حركة للمادة، بل هو تموضع منظم للوعي مُوجه بالقيمة والمعتقد والغاية. وتتجاوز آثار هذه الأفعال آثارها المباشرة، إذ تُغيّر الحقول العلائقية – الاجتماعية والرمزية والنفسية – التي يستمر الوعي من خلالها في التمركز.

يعيد هذا المنظور صياغة الفشل الأخلاقي، فالخطأ ليس مجرد انتهاك للقواعد، ولا هو مجرد سلوك غير متكيف، بل هو تشويه: اختلال بين التموضع والتوازن الأوسع للواقع الواعي. لا يقتصر الضرر على الانتشار المادي فحسب، بل يمتدّ إلى التجربة أيضًا، مُولِّدًا تنافرًا يستمرّ حتى بعد لحظة الفعل.

لذا، فإنّ المسؤولية الأخلاقية ليست مفروضة من الخارج، بل هي جزء لا يتجزأ من المشاركة في الواقع الواعي. فالوعي يُضفي قيمةً، والمعرفة بحدّ ذاتها مسؤولية.

الفصل الخامس، 2: الكرامة الإنسانية في كون واعٍ

لطالما استندت الكرامة الإنسانية إلى اللاهوت، أو العقلانية، أو الاستقلال الذاتي، أو العقد الاجتماعي. وقد أثبتت كلّ هذه الأسس هشاشةً. فالأسس اللاهوتية تتزعزع في السياقات التعددية، والعقلانية تستبعد الضعفاء، والاستقلال الذاتي ينهار تحت وطأة الحتمية، والعقود تتلاشى تحت وطأة السلطة.

في إطار أنطولوجيا الوعي القائمة على الحقول، تكتسب الكرامة أساسًا مختلفًا. فأن تكون إنسانًا يعني أن تكون حاملًا محليًا للواقع الواعي – موقعًا تتلاقى فيه المعرفة والمعنى والمسؤولية. لا تنبع الكرامة من الإنجاز أو القدرة أو التقدير، بل من المشاركة.

يقاوم هذا التصور كلًا من العدمية والعاطفية. فالبشر ليسوا ذوي قيمة لأنهم نافعون أو منتجون أو أقوياء، ولا لأنهم يشعرون بالشفقة تجاههم فحسب، بل لأن الواقع الواعي يتشكل داخلهم بطريقة فريدة متكاملة ومعبرة رمزيًا.

لا تنفي الهشاشة الكرامة، بل تكشفها. إن اعتماد الوعي الإنساني على الظروف البيولوجية والاجتماعية الهشة يؤكد قيمته، بدلًا من أن يقوضها. إن إيذاء شخص ما ليس مجرد إلحاق الضرر بكائن حي، بل هو تفتيت لمركز محلي للمعنى.

يتجاوز هذا الفهم حدود الإنسانية. فبينما يُظهر الوعي الإنساني قدرات مميزة، إلا أنه لا يوجد بمعزل عن أشكال الوعي الأخرى. يتسع نطاق الاعتبار الأخلاقي بشكل طبيعي، لا تحكمه حدودٌ قاطعة، بل درجات المشاركة والقدرة على التجربة.

الفصل الخامس، 3: نحو أخلاقيات التوازن

إذا كان الواقع الواعي مُنظَّمًا عبر حقول وأنماط وقيود، فإن الحياة الأخلاقية تُفهم على أفضل وجه لا من منظور وصفات مطلقة، بل من منظور التوازن. يصبح التوازن هو المبدأ التوجيهي: بين الحرية والتقييد، والذات والآخر، والقوة والمسؤولية، والابتكار والاستمرارية.

الإفراط والتقصير كلاهما تشويه. الحرية المطلقة تذوب في الفوضى، والسيطرة المطلقة تتحول إلى هيمنة. تكمن الحكمة الأخلاقية في الحفاظ على توازن ديناميكي – مُستجيب للسياق، وحساس للعواقب، ومُوجَّه نحو التماسك لا الهيمنة.

تتناقض أخلاقيات التوازن هذه مع الأنظمة الأخلاقية القائمة فقط على الطاعة أو الحسابات. فهي لا تسأل فقط عما هو مسموح أو ما هو مفيد، بل تسأل عما يُحافظ على التماسك داخل الواقع الواعي. تُقاس الأفعال بقدرتها على الحفاظ على المشاركة الهادفة أو استعادتها أو تعزيزها.

ينطبق التوازن أيضًا على الحضارة. فالقوة التكنولوجية دون تكامل أخلاقي تُزعزع استقرار المجتمعات. والكفاءة الاقتصادية دون كرامة تُشوّه المعنى الإنساني. والأيديولوجيا دون تواضع تنهار في براثن الإكراه. ويمكن فهم أزمات الحداثة، في هذا السياق، على أنها اختلالات في التوازن لا اختلالات في الذكاء.

لذا، فإن المهمة الأخلاقية ليست السيطرة، بل التوافق. فالبشر ليسوا خالقين ذوي سيادة ولا نتاجًا سلبيًا. إنهم مشاركون مُؤتمنون على التأثير ضمن نظام واعٍ لم يبتدعوه، بل ساهموا في تشكيله.

الفصل الخامس، 4 الإرادة الحرة والقيود: الفاعلية الثوتونية

لطالما تذبذبت مشكلة الإرادة الحرة بين قطبين غير مُرضيين: الحرية المطلقة المنفصلة عن السببية، والحتمية الصارمة التي تجعل الفاعلية وهمية. يُقدّم "الثوتون" مسارًا ثالثًا، قائمًا على أنطولوجيا المجال.

إذا كانت الأحداث الثوتونية تجليات موضعية لمجال وعي يتفاعل مع قيود مادية، فإن الفاعلية ليست بلا سبب ولا مُحددة سلفًا بشكل كامل. تعمل البنى العصبية والاستعدادات الوراثية والظروف البيئية كقيود – شروط حدودية يحدث ضمنها التموضع الثوتوني. تُشكّل هذه القيود فضاء الأفعال الممكنة دون أن تُحدّد بشكل قاطع أي نتيجة واحدة.

وفقًا لهذا المنظور، فإن الإرادة الحرة ليست القدرة على الفعل بلا سبب، بل هي قدرة مجال الوعي على الاختيار من بين احتمالات محدودة من خلال التموضع النمطي. تتوافق القصدية مع انحياز الانهيار الثوتوني نحو تكوينات معينة. وبالتالي، فإن الفاعلية حقيقية، ولكنها مرتبطة بسياقها؛ ذات معنى، ولكنها محدودة.

يحل هذا التناقض الظاهر بين الحتمية والمسؤولية. تحكم العمليات الحتمية الركيزة المادية، بينما يسمح عدم الحتمية على مستوى تجسيد المجال بالاختيار الحقيقي دون انتهاك القانون الفيزيائي. لا توجد الحرية الإنسانية خارج الطبيعة، بل داخلها، كنمط من الدرجة العليا للاستجابة الحساسة للقيود.

والأهم من ذلك، أن هذا النموذج يتجنب اختزال الإرادة الحرة إلى عشوائية. فالفاعلية الثوتونية مُهيكلة، ومُستنيرة بالذاكرة والمعنى والقيمة. الخيارات ليست اعتباطية ولا حتمية؛ إنها تعبيرات عن الشخصية التي تشكلت من خلال تاريخ المشاركة السابق.

وهكذا، تُصان المساءلة الأخلاقية دون اللجوء إلى إعفاء ميتافيزيقي من السببية. يتحمل البشر المسؤولية تحديدًا لأنهم يتصرفون ضمن قيود لم يختاروها، لكنهم يشكلونها من خلال كيفية اختيارهم للتصرف. الحرية، بهذا المعنى، ليست استقلالًا مطلقًا، بل هي مشاركة فعّالة في بناء عالمٍ واعٍ.

أفضل شرح لحجتي المؤيدة لحرية الإرادة يكمن في هذا المقتطف من كتابي "الثابت والمتغير:"

2."القوة الخامسة مجازية وليست قوة خارقة للطبيعة:

يتضح هذا جليًا عند دراسة أسباب فشل نموذج "القوة الخامسة" عند استحضاره لقوة إرادة حرة منفصلة وغير مادية، وكيف يخلق هذا النموذج مشاكل ميتافيزيقية أكثر مما يحل. فهذه القوة المفترضة تحتاج إلى التدخل في العالم المادي دون انتهاك قوانين الحفظ، والتأثير على المادة العصبية دون أي نقل طاقة قابل للكشف، وأن تظل غير قابلة للكشف علميًا مع كونها العامل الحاسم في الفعل البشري. لا يُفسر هذا المفهوم الحرية؛ بل يُعيد تسمية اللغز ويُدخل خللًا خارقًا للطبيعة في كونٍ كان من الممكن فهمه. علاوة على ذلك، فإن الحرية التي تتحقق بكسر سلسلة السببية لا يمكن التعرف عليها كحرية

على الإطلاق؛ بل لا يمكن تمييزها عن العشوائية. والعشوائية – أي حدوث فعل دون سبب – ليست إرادة؛ بل هي عينها." فقدانها.

3. السببية ليست سلسلة، بل مجال

للتخلص من هذا المأزق، يجب علينا تحديث مفهومنا للسببية، فهي ليست سلسلة، بل مجال. إن الصورة الكلاسيكية النيوتونية للسببية – سلسلة جامدة من الدفعات الحتمية – هي تبسيط مفرط. يشير الفهم الحديث، المستند إلى ميكانيكا الكم ونظرية التعقيد وعلم الأحياء النظمي، إلى أن السببية يُنظر إليها بشكل أفضل على أنها متعددة الطبقات، واحتمالية، وسياقية للغاية. وهي تعمل من خلال وضع القيود وتمكين مساحات الاحتمالات أكثر من عملها من خلال فرض نتائج دقيقة. ضمن حدود القانون الفيزيائي، غالبًا ما يكون من الممكن فيزيائيًا وجود احتمالات مستقبلية متعددة. أي مستقبل محدد سيظهر ليس دائمًا محددًا بتفاصيل دقيقة للغاية من خلال الحالة السابقة للكون. السببية، في هذا المنظور الأشمل، لا تملي كل التفاصيل؛ بل تحدد المشهد وقواعد اللعبة.

4. عدم الحتمية بدون فوضى

يشير هذا إلى حقيقة عدم الحتمية بدون فوضى. على المستويات الأساسية التي وصفها في فيزياء الكم، يُعدّ عدم التحديد سمةً متأصلةً في الواقع. يمكن للأحداث أن تقع دون أن تكون محددةً مسبقًا بدقة، ومع ذلك، فإنها تحدث ضمن نطاقات مقيدة إحصائيًا ودون انتهاك البنية العامة للقانون الفيزيائي. هذه الانفتاحية الجوهرية ليست، في حد ذاتها، حرية. إن "اختيار" الإلكترون الاحتمالي ليس نموذجًا للإرادة البشرية. لكن هذا عدم التحديد الأساسي يُنشئ مساحةً – انفتاحًا وجوديًا – في أساس الواقع. تتطلب الحرية مثل هذا

الانفتاح، لكن الانفتاح وحده غير كافٍ. إنه المادة الخام، وليس المنتج النهائي.

5. الوعي كمُنتقي، لا كمُنتهك

العامل النهائي هو الوعي كمُنتقي، لا كمُنتهك. لا يعمل الوعي بتجاوز القانون الفيزيائي. إنه يعمل ضمن المساحة الواسعة التي يسمح بها القانون الفيزيائي. حيث توجد نتائج متعددة ومسموح بها فيزيائيًا – سواء في حالات عدم التحديد الدقيقة للعمليات العصبية أو في حالات الغموض الكلية لبنية معقدة. في لحظة اتخاذ القرار، يؤدي الوعي دوره المحوري. فهو يُقيّم الأفعال المحتملة بناءً على معناها المتوقع، ويُدمج الذاكرة والنوايا المستقبلية، ويؤجل رد الفعل التلقائي، ويختار من بين البدائل. هذا الاختيار ليس عشوائيًا، بل هو مُستنير بقيم متراكمة على مدار العمر، وهوية شخصية مُشكّلة، وفهم دلالي للعالم. هنا تحديدًا تنشأ الحرية، لا كهروب من السببية، بل كملاحة واعية مُوجّهة بالقيم ضمن المجال السببي. إنها السببية التي تُصبح مُوجّهة ذاتيًا.

6. الحرية كانفتاح مُهيكل

لذلك، يُمكننا تعريف الحرية بأنها انفتاح مُهيكل. الحرية الحقيقية ذات المعنى ليست غيابًا تامًا للقيود، بل هي بنية مُحددة تتطلب ثلاثة عناصر:

1. القيود: قوانين وهياكل ثابتة تُتيح نتائج قابلة للتنبؤ وأفعالًا موثوقة. بدون حدود، يتحول الفعل إلى فوضى غير مُترابطة.

.2البدائل: تعدد حقيقي للمستقبلات المسموح بها فعليًا للاختيار من بينها. بدون خيارات حقيقية، يكون الفعل مجرد إكراه.

.3التأمل: القدرة الواعية على نمذجة هذه البدائل. البدائل، وموازنتها وفقًا للقيم، ثم اختيار أحدها. بدون هذا الوعي، يفتقر الفعل إلى الشعور بالملكية.

7. المسؤولية دون عبء ميتافيزيقي

توجد هذه الشروط الثلاثة بقوة ضمن الأنظمة الطبيعية المعقدة كالدماغ البشري. إذن، الحرية ليست انفتاحًا مطلقًا، بل هي انفتاح منظم – القدرة على الإبداع الواعي والتأملي الذاتي ضمن عالم تحكمه القوانين.

يدعم هذا الإطار بشكل طبيعي مفهوم المسؤولية دون عبء ميتافيزيقي. فلو كانت أفعالنا محددة بشكل كامل وآلي بحالات سابقة، لكان مفهوم المسؤولية بلا معنى – لكنا مجرد دمى متحركة. ولو كانت أفعالنا بلا سبب على الإطلاق، لاستحالت المسؤولية – لما أمكن محاسبتنا على أحداث عشوائية. تجد المسؤولية مكانها المنطقي في المنطقة الوسطى: فهي موجودة لأننا فاعلون نعمل ضمن قيود معروفة، ونستطيع فهم العواقب المحتملة لأفعالنا، ولو واجهنا ظروفًا مماثلة، لكان بإمكاننا الاختيار والتصرف بشكل مختلف بناءً على التأمل والتقييم. وهذا أساس كافٍ للمسؤولية الأخلاقية والقانونية. لا يتطلب الأمر روحًا خارجة عن المادة، بل ذاتًا واعية ومتكاملة سببيًا ومعقدة بما يكفي.

٨. الحرية والمعنى والاستمرارية

نرى إذًا أن الحرية والمعنى والاستمرارية لا تنفصل. فالاختيار الحر ليس مجرد انتقاء خيار من قائمة، بل هو تأكيد لقيمة، والتعبير عن جانب من جوانب الهوية، وتوسيع نطاق السرد المتماسك للحياة. أما الاختيار الذي لا يحمل معنى – كرمى قطعة نقدية للبت في الأمر، أو ارتعاش عصبي عشوائي – فلا يُنظر إليه كفعل حر، بل كحدث اعتباطي أو غريب. الحرية، بمعناها الأعمق، هي الأداة التي تُرسّخ بها الذات هويتها عبر الزمن، وتُؤلف قصتها بفعالية ضمن السرد الكبير لواقع قائم على القانون.

٩. التأمل اللاهوتي دون تدخلية

من منظور لاهوتي، يُحررنا هذا الرأي من التدخلية. إنّ منح الحرية من الله لا يستلزم تعليقًا دوريًا للقانون الطبيعي، كما لو أن الله يتدخل لكسر قيود الحتمية التي تكبّلنا. بل إنّ الحرية موجودة لأنّ النظام الكوني مُنظّمٌ بطبيعته – مفهوم، ومنفتح، ومتدرّج – بطريقة تسمح بالمشاركة الواعية بل وتُنمّيها. فالخالق ليس آلة حتمية، ولا هو ساحة فوضوية للمعجزات. إنه نظام متماسك وكريم، منفتح بما يكفي لاستحضار شراكة حقيقية من داخله.

١٠. الحرية كوظيفة، لا كاستثناء

وهكذا، نستنتج أن الإرادة الحرة وظيفة، لا استثناء. إنها ليست شذوذًا خارقًا للطبيعة مُضافًا إليها. إنها وظيفة رفيعة المستوى تنشأ بشكل طبيعي عندما تتلاقى التعقيدات المادية، والتكامل الواعي، والمعنى الدلالي. وهي تنشأ بشكل قانوني من خصائص الكون؛ وتعمل وفقًا لمبادئ السببية الواعية. فالحرية ليست غياب السببية. إنها السببية التي تُصبح واعية بذاتها، وتُشكّل نفسها بنفسها، وتُوجّه نفسها بنفسها. إنها الكون، في صورة كائن واعٍ، يتعلم كيف يُوجّه نفسه ضمن تياراته الخاصة.

11. استكمال البنية

مع هذا الفهم، تكتمل بنية الثابت والمتغير. يُوفّر الثابت البنية والقيد غير القابلين للتفاوض – القانون الفيزيائي، والضرورة البيولوجية، والشكل المنطقي. يُوفّر المتغير مجال التعبير والتكيف والشكل الجديد. ينشأ الوعي كواجهة تكاملية حيث يُترجم الشكل إلى معنى. تعمل الحرية كقدرة على الاختيار الواعي ضمن الانفتاح الذي يُوفّره المتغير، المُقيّد بالثابت. والتوازن الديناميكي هو المبدأ الذي يُحافظ على تماسك الكل عبر الزمن. لم يُضَف شيء بلا داع – لا قوى خامسة، ولا انقطاعات خارقة للطبيعة. لم يُزَل شيء بشكل تعسفي – يبقى المعنى والمسؤولية والاختيار الأصيل سليمة، مُتجذّرة في الواقع.

لم يُضَف شيء بلا داع – لا قوى خامسة، ولا انقطاعات خارقة للطبيعة. لم يُزَق شيء بشكل تعسفي – يبقى المعنى والمسؤولية والاختيار الأصيل سليمة، مُتجذّرة في الواقع.

نهاية المقتطف.

تأمل ختامي: الاكتمال والاستمرارية

بدأ هذا العمل بتشخيص اختلال التوازن في كتاب "أقنعة الوهم". ويختتم هنا بإعادة بناء أنطولوجية تهدف إلى استعادة التماسك. فبينما كشف المجلد الأول عن تشويه بين العقل والأسطورة، والسلطة والمسؤولية، يسعى هذا المجلد إلى ترسيخ التوازن على أعمق مستوى: طبيعة الواقع نفسه.

لا يُقدَّم كتاب "الثوتون " كنظرية نهائية، ولا كاكتشاف علمي. بل يُقدَّم كإطار للتفكير – طريقة لفهم الوعي والمادة والمعنى والأخلاق ضمن رؤية واحدة غير اختزالية.

وإذا ما نجح، فلن يكون ذلك بإقناع جميع القراء. سينجح ذلك بجعل بعض الأسئلة حتمية، وبعض الرفض أقل قبولًا، وبعض الحدس أكثر وضوحًا.

وما يتبقى هو المشاركة. فالواقع الواعي لا يطلب أن يُحل، بل أن يُتعامل معه بمسؤولية. الفلسفة، في أفضل حالاتها، لا تُغلق باب البحث، بل تفتح سبيلًا للعيش بوعي أكبر في العالم المحيط بنا.

انقسمت فلسفة القرن العشرين إلى تقاليد تحليلية وقارية. حاولت الفلسفة التحليلية إضفاء طابع طبيعي على العقل من خلال السلوكية، ونظرية الهوية، والوظيفية، والمادية الإقصائية. بينما أكدت الفلسفة القارية على التجربة المعيشة والتجسيد، رافضةً الثنائيات المجردة. ومؤخرًا، عادت مذهب وحدة الوجود ووحدة الوجود عند راسل إلى الظهور، مما يشير إلى أن الوعي قد يكون جوهريًا في نهاية المطاف.

يكشف هذا الاستعراض التاريخي عن نمط: كلما عُومل الوعي على أنه مشتق أو وهمي، تظهر الفجوة التفسيرية في مكان آخر. وكلما عُومل على أنه جوهري، تُستعاد الوحدة على حساب الجرأة المفاهيمية. ينتمي إطار عمل "الثوتون الموجه" إلى هذا النهج الأخير. وهو لا يدّعي حلّ المشكلة بشكل نهائي، بل وضعها ضمن سياق وجودي حيث يُمثّل العقل والجسد تعبيرين عن واقع موحّد يشبه المَجَال.

الملحق أ – علم الوجود القائم على الحقول والفيزياء الحديثة

شهدت الفيزياء الحديثة تحولًا مفاهيميًا عميقًا من الواقعية القائمة على الجسيمات إلى علم الوجود القائم على الحقول. في نظرية المَجَال الكمومي المعاصرة، لا تُفهم الجسيمات على أنها مواد مستقلة، بل على أنها إثارات موضعية لحقول كامنة تملأ جميع الزمكان. يتوافق كل نوع من الجسيمات مع مجَال، والتفاعلات هي اقترانات بين الحقول.

ما يُسمى بالفراغ ليس فارغًا؛ بل هو أدنى حالة طاقة للحقول التي لا تزال تمتلك بنية وتناظرًا وإمكانات. تُعزز ظواهر مثل طاقة النقطة الصفرية، والتقلبات الكمومية، ومجَال هيغز يثبت فكرة أن الحقول أساسية والأجسام ثانوية.

لا يدّعي هذا الملحق وجود دليل علمي أن الوعي مجَال كمومي بالمعنى التقني. بل إنه يُسلط الضوء على طرح ميتافيزيقي: قد يكون الواقع في جوهره مجَالاً، وعلائقياً، وإجرائياً. لذا، فإن التعامل مع الوعي على أنه مجَال ليس غريباً على الخيال العلمي الحديث، حتى وإن بقي خارج الأطر التجريبية الحالية.

الملحق ب – المواقف التاريخية حول العقل والجسد (دليل مرجعي)

• أفلاطون: ثنائية الجوهر؛ النفس غير مادية وأسمى من الجسد. • أرسطو: الهيولية الشكلية؛ النفس صورة الجسد. • ابن سينا: النفس غير مادية؛ الوعي الذاتي مستقل عن الإحساس. • ابن رشد: الوحدة الأرسطية؛ العقل كلي. • أوغسطين: الثنائية الأفلاطونية في اللاهوت المسيحي. • توما الأكويني: وحدة الجسد والنفس مع القدرات غير المادية للنفس العاقلة. • ديكارت: ثنائية جوهر العقل والجسد. • سبينوزا: وحدة الجانبين؛ العقل والجسد صفتان متوازيتان. • لايبنتز: الانسجام المُسبق. • المادية: العقل عملية دماغية. • المثالية: الواقع مُرتبط بالعقل. • الظاهراتية: الوعي المُجسّد. • وحدة الوجود/الوحدانية الرسلية: الوعي أساسي.

تشكّل هذه المواقف الخلفية الفكرية التي يُطرح من خلالها كتاب "الثوتون " كتركيب معاصر ذي توجه ميداني.

اقتباسات عن الوعي من علماء/فيزيائيين

ديفيد بوم

"في أعماقنا، وعي البشرية واحد. هذه حقيقة شبه مؤكدة، لأنه حتى في الفراغ، المادة واحدة؛ وإذا لم نرَ ذلك، فذلك لأننا نتجاهله."

"الوعي أقرب إلى النظام الضمني منه إلى المادة... ومع ذلك، على مستوى أعمق، [المادة والوعي] لا ينفصلان ومتشابكان، تمامًا كما في لعبة الكمبيوتر حيث يتحد اللاعب والشاشة من خلال المشاركة."

نيلز بور

"كل ما نسميه حقيقيًا مصنوع من أشياء لا يمكن اعتبارها حقيقية. الفيزيائي ليس إلا طريقة الذرة في النظر إلى نفسها."

"أي ملاحظة للظواهر الذرية ستتضمن تفاعلًا مع أداة الملاحظة لا يمكن إغفاله. وبناءً على ذلك، لا يمكن إسناد واقع مستقل بالمعنى الفيزيائي المعتاد إلى الظواهر ولا إلى أدوات الملاحظة." في نهاية المطاف، يُعدّ مفهوم الملاحظة اعتباطيًا إلى حدٍّ ما، إذ يعتمد على الأجسام المُدرجة في النظام المراد رصده.

فريمان دايسون

"على مستوى الذرات والإلكترونات المفردة، ينخرط عقل المُلاحِظ في وصف الأحداث. يُجبر وعينا المُركّبات الجزيئية على الاختيار بين حالة كمومية وأخرى."

السير آرثر إيدنغتون

"في عالم الفيزياء، نشاهد عرضًا ظليًا للحياة المألوفة. يستقر ظلّ مرفقي على طاولة الظلال بينما ينساب حبر الظلال على ورق الظلال... إنّ الإدراك الصريح بأنّ العلوم الفيزيائية تُعنى بعالم الظلال هو أحد أهمّ التطورات الحديثة."

ألبرت أينشتاين

"الإنسان جزء من كلٍّ، نُسمّيه الكون، جزء محدود في الزمان والمكان. يُدرك ذاته، أفكاره ومشاعره، كشيء منفصل عن البقية... نوع من الوهم البصري لوعيه. هذا الوهم أشبه بسجن لنا، يُقيّدنا برغباتنا الشخصية وعاطفتنا تجاه عدد قليل من أقرب الناس إلينا." يجب أن تكون مهمتنا تحرير أنفسنا من هذا السجن بتوسيع دائرة تعاطفنا لتشمل جميع الكائنات الحية والطبيعة بأسرها في جمالها.

فيرنر هايزنبرغ

يحدث التغير المفاجئ في الدالة الموجية مع تسجيل النتيجة من قبل عقل المراقب. إن هذا التغير المفاجئ في معرفتنا لحظة التسجيل هو ما ينعكس في التغير المفاجئ لدالة الاحتمال.

باسكوال جوردان

"الملاحظات لا تُشوش ما يُقاس فحسب، بل تُنتجه أيضًا."

فون نيومان

"يبدو أن الوعي، أيًا كان، هو الشيء الوحيد في الفيزياء القادر في نهاية المطاف على إحداث هذا الانهيار أو الملاحظة."

جاك بارسونز

لسنا وعيًا أرسطيًا – لسنا عقولًا بل حقولًا – الوعي يجب أن يتحدث الداخل والخارج، الأحشاء والدم والجلد.

فولفغانغ باولي

"لم نعد نفترض المراقب المنفصل، بل المراقب الذي يخلق، بتأثيراته غير المحددة، وضعًا جديدًا، حالة جديدة للنظام المرصود."

"أعتقد شخصيًا أن الواقع في علم المستقبل لن يكون "نفسيًا" ولا "ماديًا"، بل سيكون كليهما بطريقة ما، ولا هذا ولا ذاك بطريقة ما."

ماكس بلانك

"أعتبر الوعي أساسيًا." أعتبر المادة مشتقة من الوعي.

"بصفتي رجلاً كرس حياته لدراسة المادة، وهي من أكثر العلوم دقةً ووضوحاً، أستطيع أن أؤكد لكم، بناءً على بحثي في الذرات، ما يلي: لا وجود للمادة في حد ذاتها. فكل المادة تنشأ وتوجد فقط بفضل قوة تُحرك جسيم الذرة وتُبقي هذا النظام الشمسي الذري المصغر متماسكاً. يجب أن نفترض وجود عقل واعٍ وذكي وراء هذه القوة. هذا العقل هو أساس كل المادة."

مارتن ريس

"لم يكن للكون أن يوجد لولا وجود من رصده. لا يهم أن هؤلاء الراصدون ظهروا بعد مليارات السنين. الكون موجود لأننا ندرك وجوده."

إرفين شرودنغر

"الاستنتاج الوحيد الممكن... هو، في رأيي، أنني – أنا بالمعنى الأوسع للكلمة، أي كل عقل واعٍ قال أو شعر بـ'أنا' – هو الشخص، إن وُجد، الذي يتحكم في 'حركة الذرات'. ... الذات الشخصية تساوي الذات الأبدية الحاضرة في كل مكان، الشاملة لكل شيء... لا يوجد إلا شيء واحد، وحتى في ذلك، ما يبدو تعددًا ليس إلا سلسلة من جوانب شخصية مختلفة لهذا الشيء الواحد، ناتجة عن خداع."

"ليس لدي... أي تردد في التصريح بوضوح تام بأن قبول وجود عالم مادي حقيقي، كتفسير لحقيقة أننا جميعًا نجد في النهاية أننا تجريبيًا في نفس البيئة، هو أمر غامض وميتافيزيقي."

جون أرشيبالد ويلر

"لسنا مجرد مراقبين. نحن مشاركون. بمعنى غريب، هذا كون تشاركي."

يوجين ويغنر

"لا يمكن صياغة قوانين ميكانيكا الكم بطريقة متسقة دون الرجوع إلى الوعي.

ألبرت أينزنستين

"كل من ينخرط بجدية في طلب العلم يقتنع بأن قوانين الطبيعة تُظهر وجود روحٍ أسمى بكثير من روح البشر، روحٌ يجب أن نشعر أمامها بالتواضع بقدراتنا المتواضعة."

وفي تعبير آخر مشابه عن هذا الشعور، قال:

"يتمثل تَديّني في إعجاب متواضع بالروح المتعالية التي تتجلى في القليل الذي نستطيع، بفهمنا الضعيف والعابر، إدراكه من الواقع."

في رسالة إلى ابنته ليزيرل:

..."عندما طرحتُ نظرية النسبية، لم يفهمني إلا القليل، وما سأكشفه الآن لأُبلّغه للبشرية سيصطدم أيضًا بسوء الفهم والتحيّز السائدين في العالم.

أطلب منكِ حفظ هذه الرسائل ما دام ذلك ضروريًا، سنوات، عقود، حتى يتقدّم المجتمع بما يكفي لتقبّل ما سأشرحه لاحقًا.

هناك قوة هائلة لم يجد لها العلم حتى الآن تفسيرًا رسميًا. إنها قوة تشمل جميع القوى الأخرى وتُسيّرها، بل إنها وراء كل ظاهرة تحدث في الكون ولم نكتشفها بعد.

هذه القوة الكونية هي الحب.

عندما بحث العلماء عن نظرية موحدة للكون، نسوا أقوى قوة خفية.

الحب نور، يُنير من يُعطيه ومن يتلقّاه.

الحب جاذبية، لأنه يجعل بعض الناس يشعرون بالانجذاب نحو الآخرين.

الحب قوة، لأنه يُضاعف أفضل ما لدينا، ويُجنّب البشرية الفناء في أنانيتها العمياء. الحب يتجلى ويكشف.

من أجل الحب نعيش ونموت.

الحب هو الله، والله هو الحب.

هذه القوة تفسر كل شيء وتمنح الحياة معنى. هذا هو المتغير الذي تجاهلناه طويلًا، ربما لأننا نخشى الحب، فهو الطاقة الوحيدة في الكون التي لم يتعلم الإنسان تسخيرها بإرادته.

لإبراز الحب، أجريتُ تعديلًا بسيطًا على معادلتي الأشهر.

إذا افترضنا، بدلًا من $E = mc^2$، أن الطاقة اللازمة لشفاء العالم يمكن الحصول عليها من خلال الحب مضروبًا في مربع سرعة الضوء، فسنصل إلى استنتاج مفاده أن الحب هو أقوى قوة على الإطلاق، لأنه لا حدود له.

بعد فشل البشرية في استخدام قوى الكون الأخرى التي انقلبت ضدنا والسيطرة عليها، بات من الضروري أن نغذي أنفسنا بنوع آخر من الطاقة...

إذا أردنا لجنسنا البقاء، إذا أردنا أن نجد معنى للحياة، إذا أردنا إنقاذ العالم وكل كائن حي يسكنه، فالحب هو الحل الوحيد.

ربما لسنا مستعدين بعد لصنع قنبلة من الحب، أداة قوية بما يكفي لتدمير الكراهية والأنانية تدميرًا كاملًا. والجشع الذي يُدمر الكوكب.

مع ذلك، يحمل كل فرد في داخله مولدًا صغيرًا لكنه قوي للحب، طاقته تنتظر أن تُطلق.

عندما نتعلم كيف نمنح ونستقبل هذه الطاقة الكونية، عزيزتي ليزيرل، سنكون قد تأكدنا من أن الحب ينتصر على كل شيء، وقادر على تجاوز كل شيء، لأن الحب هو جوهر الحياة.

يؤسفني بشدة أنني لم أتمكن من التعبير عما في قلبي، الذي نبض لكِ بصمت طوال حياتي. ربما فات الأوان للاعتذار، ولكن بما أن الوقت نسبي، فأنا بحاجة لأن أخبركِ أنني أحبكِ، وبفضلكِ وصلتُ إلى الإجابة النهائية!

والدكِ ألبرت أينشتاين

References

THE LIGHTNESS OF BEING: Mass, Ether, and the Unification of Forces. FRANK WILCZEK, Basic Books; September 2, 2008.

What Is Your Dangerous Idea? Today's Leading Thinkers on the Unthinkable (Edge Question Series), by John Brockman, 2016.

Stanford Encyclopaedia of Philosophy

Encyclopedialike Britannica

Ethics, by Baruch Spinoza, Stuart Hampshire (Introduction), Edwin M. Curley (Translator)

مسرد المصطلحات

الجزء الأول: دراسات الوعي وفلسفة العقل

أ. المفاهيم الأساسية للوعي

• الوعي: حالة الإدراك والقدرة على التفكير في الذات، والمحيط، والحالات الذهنية. يُطرح السؤال الجوهري: لماذا وكيف تنشأ التجربة الذاتية؟

• الكيفيات الحسية (المفرد: كيفية): الخصائص النوعية الذاتية للتجارب الواعية (مثل: احمرار اللون الأحمر، وشدة الألم).

• الوعي الظاهري: جانب "كيف يكون" التجربة. الشعور الخام بالوجود.

• الوعي المتاح: المعلومات المتاحة عالميًا للمعالجة المعرفية، والإبلاغ، والتحكم العقلاني في السلوك (غالبًا ما يُقارن بالوعي الظاهري).

• الذاتية: منظور الذات المُجرِّبة؛ حقيقة أن الوعي دائمًا ما يكون ملكًا للذات.

• القصدية: هي "التوجه" أو "الهدف" في الحالات الذهنية (مثل الاعتقاد بشأن الطقس، أو الرغبة في الماء).

• معضلة الوعي الصعبة (تشالمرز): هي معضلة تفسير سبب وكيفية نشوء التجربة الذاتية والظاهراتية من العمليات الفيزيائية في الدماغ. وتختلف هذه المعضلة عن "المشكلات السهلة" (كتفسير الوظائف الإدراكية، والانتباه، وإمكانية الإبلاغ).

• الفجوة التفسيرية (ليفين): هي الفجوة المفاهيمية بين الأوصاف الفيزيائية/الوظيفية للدماغ وطبيعة التجربة الذاتية.

• علم الظواهر العصبية: هو برنامج بحثي يجمع بين مناهج الظواهرية من منظور الشخص الأول ومناهج علم الأعصاب من منظور الشخص الثالث لدراسة الوعي.

• نظرية مساحة العمل العالمية: هي نظرية معمارية إدراكية ترى أن الوعي ينشأ من معلومات تُبث عالميًا إلى "مساحة عمل" من وحدات عقلية متخصصة لا واعية.

• نظرية المعلومات المتكاملة (IIT): نظرية رياضية تقترح أن الوعي يتوافق مع قدرة النظام على دمج المعلومات (يُقاس بالرمز Φ، "فاي"). وعي النظام هو "قدرته على التأثير على نفسه من خلال مبدأ السبب والنتيجة".

• نظريات الفكر من الرتبة العليا (HOT): ينشأ الوعي عندما تكون حالة ذهنية هدفًا لفكرة من الرتبة العليا (فكرة حول تلك الحالة).

• نظرية مخطط الانتباه: الوعي هو نموذج الدماغ المبسط لحالة انتباهه، ويُستخدم للمساعدة في التحكم في الانتباه وتركيزه.

ب. المواقف الفلسفية (أنطولوجيا العقل)

• الثنائية: العقل والجسم/الدماغ نوعان مختلفان جوهريًا من الجوهر أو الخاصية.

o ثنائية الجوهر (الديكارتية): العقل والجسم جوهران متميزان (الجوهر المفكر والجوهر الممتد).

o ثنائية الخاصية: يوجد جوهر واحد فقط (فيزيائي)، ولكنه يمتلك نوعين مختلفين جوهريًا من الخصائص: فيزيائية وعقلية. • المادية/الفيزيائية: كل ما هو موجود، بما في ذلك الوعي، مادي في جوهره.

• الاختزالية: يمكن تفسير الحالات العقلية بالكامل أو اختزالها إلى حالات دماغية مادية.

• نظرية الهوية: الحالات العقلية مطابقة لحالات الدماغ (مثلاً، الألم هو تنشيط ألياف C).

• الوظيفية: تُعرَّف الحالات العقلية بدورها الوظيفي/السببي داخل النظام، لا بتكوينها المادي المحدد. الوعي هو ما يفعله، لا ما يتكون منه.

• الطبيعية البيولوجية (سيرل): الوعي سمة بيولوجية حقيقية عالية المستوى لبعض أنظمة الدماغ، ناتجة عن عمليات عصبية منخفضة المستوى.

• وحدة الوعي: الوعي سمة أساسية وشاملة للكون المادي؛ حتى الكيانات المادية الأساسية تمتلك شكلاً من أشكال الوعي الأولي.

• وحدة الوعي الأولي: تمتلك الكيانات المادية الأساسية خصائص ذهنية أولية ليست واعية في حد ذاتها، ولكنها يمكن أن تتحد لتشكل الوعي.

• المثالية: الواقع عقلي في جوهره؛ فالعالم المادي يعتمد على العقل أو الوعي أو هو جانب منهما.

المادية الإقصائية: المفاهيم النفسية الشعبية (مثل "الاعتقاد" و"الرغبة") خاطئة تمامًا، وسيتم إلغاؤها، لا تقليصها، من خلال علم الأعصاب الناضج.

الغموضية: قد تبقى مشكلة الوعي المعقدة عصية على الحل بالنسبة للقدرات المعرفية البشرية.

ج. تجارب فكرية أساسية

الزومبي الفلسفي: كائن افتراضي مطابق جسديًا وسلوكيًا للإنسان الواعي، ولكنه يفتقر إلى أي تجربة ذاتية. يُستخدم هذا المفهوم للطعن في النزعة المادية.

حجة المعرفة (غرفة ماري): عالمٌ على دراية تامة بالحقائق الفيزيائية المتعلقة برؤية الألوان، ولكنه لم يرَ لونًا قط، يتعلم شيئًا جديدًا عند رؤيته اللون الأحمر لأول مرة، مما يشير إلى وجود حقائق غير مادية.

الغرفة الصينية (سيرل): تجربة فكرية تُجادل بأن النظام الذي يُشغّل برنامجًا رسميًا (بناء الجملة) لا يمكنه بالتالي امتلاك فهم أو دلالات، مما يُشكك في مفهوم "الذكاء الاصطناعي القوي".

الدماغ المنفصل: تجارب أُجريت على مرضى قُطع جسمهم الثفني، مما أدى إلى وجود تيارين من الوعي يبدوان مستقلين في جسد واحد.

الجزء الثاني: نظرية المَجَال الكمومي (الأسس)

أ. المفاهيم الأساسية

• المَجَال الكمومي: الكيان الأساسي في نظرية المَجَال الكمومي. ليس جسيمًا ولا موجة، بل مَجَال يملأ الزمكان، وكمياته عبارة عن جسيمات. أمثلة: مجال الإلكترون، مجال الفوتون، مجال هيغز.

• التكميم: العملية الرياضية لتحويل مجال كلاسيكي إلى مجال كمومي بفرض علاقات التبادل أو التبادل المضاد.

• الكم: أصغر وحدة إثارة منفصلة في المجال، تُدرك كجسيم (مثلاً، الفوتون هو كم من المجال الكهرومغناطيسي).

• حالة الفراغ: الحالة الأرضية للمجال الكمومي. وهي ليست "فارغة" بل تعج بتقلبات الفراغ.

• تقلبات الفراغ / طاقة النقطة الصفرية: تغيرات مؤقتة احتمالية في الطاقة عند نقطة في الفضاء، تنشأ من مبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ. يمكن لأزواج الجسيمات ومضاداتها أن تظهر وتختفي لحظياً.

• مؤثرات الإنشاء والإفناء: مؤثرات رياضية في نظرية الحقول الكمومية تُضيف (تُنشئ) أو تُزيل (تُفني) كم/جسيم من حالة المجال.

• • فضاء فوك: فضاء هيلبرت المستخدم لوصف الحالات الكمومية ذات عدد متغير من الجسيمات.

• نظرية الإحصاء الدوراني: الجسيمات ذات الدوران الصحيح (0، 1، 2، ...) هي بوزونات وتخضع لإحصاءات بوز–أينشتاين. أما الجسيمات ذات الدوران نصف الصحيح (1/2، 3/2، ...) فهي فرميونات وتخضع لإحصاءات فيرمي–ديراك.

• الجسيم المضاد: لكل جسيم، يوجد جسيم مضاد له نفس الكتلة وعكسها في العدد الكمومي (مثل الشحنة). وقد تنبأت بذلك معادلة ديراك.

ب. العمليات والظواهر الرئيسية

• التكميم الثاني: الاسم التاريخي لصيغة نظرية الحقول الكمومية، حيث تكون الحقول نفسها مُكمّمة (على عكس "التكميم الأول"، حيث تكون الكميات القابلة للرصد للجسيمات مُكمّمة).

التكميم الثاني: الاسم التاريخي لصيغة نظرية الحقول الكمومية، حيث تكون الحقول نفسها مُكمّمة (على عكس "التكميم الأول"، حيث تكون الكميات القابلة للرصد للجسيمات مُكمّمة).

• إعادة التطبيع: مجموعة من التقنيات لإزالة اللانهاية التي تظهر في الحسابات عن طريق إعادة تعريف المعاملات (مثل الكتلة والشحنة) إلى قيمها المحدودة والمقاسة.

• الجسيم الافتراضي: تذبذب كمومي عابر لا يظهر كجسيم حقيقي قابل للكشف، ولكنه يتوسط القوى في تفاعلات الجسيمات. وهو "خارج نطاق الكتلة".

• مخطط فاينمان: تمثيل تصويري لتفاعلات الجسيمات في نظرية المَجَال الكمومي. تمثل الخطوط مُوَصِّلات الجسيمات، وتمثل الرؤوس التفاعلات. وهو أداة لحساب سعات الاحتمال.

• صياغة التكامل المساري (فاينمان): صياغة لنظرية المَجَال الكمومي حيث تكون سعة احتمال حدث ما هي مجموع (تكامل) الأطوار التي تُساهم بها جميع المسارات الممكنة بين الحالتين الابتدائية والنهائية.

• تناظر القياس ونظرية القياس: نظرية ثابتة تحت التحويلات المحلية (التحويلات التي تختلف من نقطة إلى أخرى في الزمكان). تُوصَف القوى (الكهرومغناطيسية، والضعيفة، والقوية) بنظريات القياس. ويتطلب شرط تناظر القياس وجود جسيمات حاملة للقوة (بوزونات القياس).

• كسر التناظر:

• كسر التناظر التلقائي: تتميز الحالة الأرضية (الفراغ) لنظام ما بتناظر أقل من القوانين الأساسية (لاغرانجيان). وتُعد آلية هيغز مثالًا على ذلك، حيث تُعطي كتلة لبوزونات $\mathbf{W/Z}$.

• كسر التناظر الصريح: لا تتمتع القوانين نفسها بتناظر كامل.

• التشابك الكمي (في سياق نظرية الحقول الكمومية): هو ارتباط غير كلاسيكي بين الأنظمة الكمومية، ويمكن أن يوجد عبر فواصل مكانية. في نظرية الحقول الكمومية، يكون التشابك منتشرًا في حالة الفراغ نفسها.

ج. مفاهيم متقدمة/تفسيرية

• اختزال الحالة الكمومية / انهيار الدالة الموجية: هي العملية المفترضة التي ينتقل من خلالها تراكب الحالات إلى حالة واحدة محددة عند القياس. ليس جزءًا رسميًا من نظرية الحقول الكمومية القياسية، ولكنه جوهري لمشكلة القياس.

• فقدان الترابط الكمومي: العملية التي يفقد فيها النظام الكمومي ترابطه الكمومي (تأثيرات التداخل) من خلال التفاعل مع بيئته. يفسر هذا ظهور الخصائص الكلاسيكية، ولكنه لا يحل مشكلة القياس.

• مشكلة القياس: مشكلة كيفية وسبب حدوث "الانهيار"، علمًا بأن التطور الوحدوي لميكانيكا الكم (معادلة شرودنغر) لا يتنبأ به.

• تفسيرات ميكانيكا الكم (ذات صلة أيضًا بالصورة التأسيسية لنظرية الحقول الكمومية):

o تفسير كوبنهاغن: التفسير العملي القياسي. لا يمتلك النظام خصائص محددة حتى يتم قياسه. دالة الموجة هي أداة لحساب الاحتمالات.

o تفسير العوالم المتعددة: لا يوجد انهيار. جميع النتائج المحتملة للقياس الكمومي تحدث في فروع مختلفة وغير متصلة لدالة موجة كونية.

o نظرية دي برولي–بوم (الموجة الدليلية): نظرية حتمية تتضمن جسيمًا (بموقع محدد) ودالة موجة موجهة. دالة الموجة هي التي توجه الجسيم.

o نظريات الانهيار الموضوعي: تقترح تعديلًا على معادلة شرودنغر لإحداث الانهيار فيزيائيًا في ظل ظروف محددة (مثل نظرية **GRW**).

الجزء الثالث: مفاهيم متعددة التخصصات / مفاهيم الربط

• نظرية الاختزال الموضوعي المنسق (**Orch–OR**): نظرية مثيرة للجدل وضعها بنروز وهاميروف، تقترح أن الوعي ينشأ من تأثيرات الجاذبية الكمومية (الاختزال الموضوعي) في الأنيبيبات الدقيقة داخل خلايا الدماغ العصبية.

• ديناميكيات الدماغ الكمومية: مجموعة من النظريات التي تستكشف ما إذا كانت الظواهر الكمومية (النفق الكمومي، التشابك، التماسك) تؤدي دورًا وظيفيًا في العمليات العصبية. وهي تختلف عن نظرية الاختزال الموضوعي المنسق (**Orch–OR**) وتُعدّ أقل جذرية منها عمومًا.

• الإدراك الكمومي: استخدام نظرية الاحتمالات الكمومية (وليس بالضرورة الفيزياء الكمومية في الدماغ) لنمذجة الظواهر الإدراكية التي تتحدى الاحتمالات الكلاسيكية، مثل تأثيرات الترتيب في اتخاذ القرارات.

• مشكلة التوافيق (لوحدة الوعي): التحدي الرئيسي المتمثل في تفسير كيفية تضافر عدد لا يحصى من الكيانات الواعية البسيطة (مثل الجسيمات) لتشكيل الوعي الموحد والمعقد للإنسان أو الحيوان.

• الإغلاق السببي للفيزيائي: مبدأ أن لكل حدث فيزيائي سببًا فيزيائيًا كافيًا. حجة رئيسية ضد الثنائية التفاعلية.

• التبعية: علاقة اعتماد: تترتب الخصائص العقلية على الخصائص الفيزيائية إذا لم يكن بالإمكان تغيير الخصائص العقلية دون تغيير الخصائص الفيزيائية. مفهوم أساسي في الفيزيائية غير الاختزالية.

• الظهور: العملية التي تنشأ فيها الأنظمة والأنماط المعقدة من تفاعلات أبسط. يشير الظهور القوي إلى أن الخصائص الجديدة لا يمكن اختزالها إلى المستوى الأساسي ولا التنبؤ بها منه (يُستشهد به أحيانًا للوعي). يشير الظهور الضعيف إلى أنها قابلة للاستنباط من حيث المبدأ، ولكنها قد تكون غير قابلة للتنبؤ عمليًا.

• الحضور الدائم – روح الله التي تسري في كل شيء.

• المطلق – مبدأ الله، الأسمى، الذي لا يُدرك ولا يُتصور، غير المُتجلي – ومع ذلك فهو ظاهر في كل شيء. غير المشروط، ومع ذلك فهو في كل حالة.

• المطلق والنسبي – يشير إلى السبب غير المشروط وأي أثر قد يُحدثه.

• المجرد – في عالم اللا شكل؛ بمعزل عن أي شيء محدد، كما هو الحال في عالم التصور. يقع الفكر المجرد في مستويات الفكر العليا، وليس في الملموس، كما هو الحال في الأشياء المحددة.

• الوفرة – بما أن الفكر يُنتج الواقع، فلا بد أن يكون الواقع شبيهًا بالفكر الذي يُنتجه. ومن ثم، فإن فكرة الفقر ستخلق حالة فقر، بينما إدراك الوفرة سيُنتج حتمًا وفرة.

• الوعي المتراكم – المجموع الكلي لكل ما قاله المرء أو فكر فيه أو فعله أو رآه، بوعي أو بغير وعي.

• • أفكار الحقيقة الفاعلة – العلاج الروحي هو بيان محدد؛ حالة وعي فاعلة تُخلق لغرض محدد.

• التفكير السليم الفاعل – العلاج العقلي هو أمر فاعل؛ يسعى إلى إثبات أو برهان نقطة معينة في العقل من خلال نشاط الوعي المحدد. العلاج فاعل دائمًا؛ ليس مجرد أحلام يقظة.

• آدم – الإنسان غير المتطور، أو غير المستنير. نقيض مبدأ المسيح، فكما "في آدم كل خطيئة، كذلك في المسيح تحرر الجميع من الخطيئة" (كورنثوس الأولى 15: 22).

• آدم المسيح – آدم الأول من الأرض؛ آدم الثاني هو الرب من السماء. آدم المسيح يعني رفع مبدأ الحقيقة فينا إلى فهم اتحاده مع الروح.

• آدم قدمون – في الكابالا، هذا المصطلح يعني الواحد (الابن) من الآب الإلهي.

• التأكيد – انظر التأكيد الأسمى، والإنكار اللاواعي لتأكيداتنا، وأداة التأكيد.

• التأكيد في العلاج النفسي – تأكيد الوجود الإلهي باعتباره الحضور الوحيد. أي تأكيد وجود ما ينبغي أن يكون.

• تأكيد الحقيقة – أي عبارة تؤكد سيادة الخير، أو تنفي وجود ما يخالف الخير. (انظر أيضًا: التوكيدات الروحية، وقوة الأفكار والكلمات المُحوِّلة.)

• العامل الإيجابي: القوة الخفية التي تُركِّز المادة البدئية في أشكال جديدة. وهو مبدأ انبثاق الحياة من خلال الذكاء الذي يملأ كل الفضاء، جوهر الوجود نفسه كذكاء ذاتي. وبالتعاون معه، يستطيع الإنسان أن يخلق عالمه المثالي.

• الدعاء الإيجابي: شكل من أشكال الدعاء أو أسلوب ميتافيزيقي يركز على نتيجة إيجابية بدلًا من موقف سلبي.

• اللاأدرية: (اللاأدرية) المذهب القائل بأنه لا يمكن معرفة طبيعة الله ولا وجوده ولا الصفة النهائية للكون. أي مذهب يؤكد أن كل المعرفة نسبية وغير مؤكدة.

• الأكاشا: الفضاء، أو الأثير، كمبدأ للعقل.

• الخيمياء: علم من العصور الوسطى، كان هدفه محاولة تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب. في حياة الميتافيزيقي، يُستخدم مصطلح الخيمياء للإشارة إلى تحويل الطبيعة الدنيا (أي صفات (الأنانية المفرطة، والجشع، والقسوة، وما إلى ذلك) إلى الصورة الروحية الكاملة التي يتطور الإنسان نحوها. الكشف عن الذات الإلهية، الموجودة بالفعل، كامنةً، في كل فرد. هذا التحول، أو التحول، هو تغيير كيميائي فعلي في خلايا الجسم، من خلال استخدام القانون العقلي والتطلع الروحي السامي.

• كل شيء عقلي أو روحي – ليس مبدأ الحياة غير المرئي شيئًا عقليًا وروحيًا فحسب، بل إن الشكل أيضًا عقلي وروحي. إنه روح محصورة في قالب مؤقت لغرض محدد.

•كل شيء عقل – كل الخليقة هي عقل في شكل، وتستجيب للذكاء الذي خلقها. هذا الذكاء نفسه فينا يستجيب لنا. قال إيمانويل كانط إننا قادرون على إدراك شيء خارجي ظاهريًا لأنه يوقظ حدسًا في داخلنا.

•كل فكر إبداعي – من المستحيل افتراض أن نوعًا واحدًا من الفكر إبداعي دون افتراض أن جميع الأنواع كذلك.

•الألف والياء – يرمز هذا إلى كل ما هو الله – الروح والمادة. الأول والآخر، وكل ما بينهما. البداية والنهاية.

•المذبح – يرمز إلى المثالية الروحية التي تُضحى فيها بأشكال الفكر الأدنى.

•المماثل – مشابه أو يحمل بعض التشابه. مبدأ أن الشبيه يجذب الشبيه، فنحن نجذب ما يتوافق معه فكرنا.

•القياس – ما يشبه شيئًا آخر. اتفاق بين شيئين في بعض النواحي، ولكن ليس بشكل متطابق. في التعاليم الميتافيزيقية، تُروى قصص تحمل تشابهًا مع الشيء المراد توضيحه، من أجل توضيح الفكرة حول الموضوع المطروح. تعاليم يسوع مليئة بالقياسات.

•الإدراك التحليلي – الإدراك الذي يتم التوصل إليه من خلال التحليل، والجدال، وعملية التفكير، وما إلى ذلك.

•قديم الأيام – الله، الروح، الحقيقة؛ ما لا يتغير

•الحكمة القديمة: سيل الحقيقة المتواصل الذي تجلى في جميع التعاليم الروحية والفلسفية العظيمة منذ القدم. حكمة العصور.

•الخنثى: امتلاك خصائص كلا الجنسين. مبدأ الأب والأم الإلهي.

•الممسوح: يشير إلى وعي المسيح الساكن فينا.

•ضد المسيح: أي محاولة لاستخدام القوة الروحية لأغراض تدميرية.

•النموذج الأصلي: ما سبق النموذج، والذي يمثله النموذج الأصلي أو يرمز إليه.

•الانفصال الظاهري: أي فكرة أو مظهر يوحي لنا بأننا منفصلون عن الحضور الإلهي.

•الظهور: ظهور غير متوقع أو شبحي. يُستخدم أحيانًا كمرادف لكلمة "شبح."

•المظهر: أي مظهر موضوعي قد يُعتبر أو لا يُعتبر مطابقًا للواقع الروحي. (انظر أيضًا: "لا تحكموا وفقًا لذلك").

الإنسان النموذجي – الإنسان الروحي بمعناه العام، الذي خُلق جميع البشر على صورته. الإنسان الكوني. صورة الله ومثاله.

النموذج الأصلي – الشكل المثالي، الذي كتب عنه أفلاطون. المفهوم الأبدي الكامل للأشياء، الموجود في عقل الله، أو العقل الكوني، الذي تُصاغ الأشكال على غراره. النمط الكامل للشيء في الفكر.

مغالطة الشك – أي نمط فكري يحرمنا من امتياز تحقيق الشفاء أو تقديم البراهين لأنفسنا أو للآخرين. ينشأ هذا من وعي الجنس البشري.

مغالطة الخطأ – أنماط التفكير الذاتية للتجربة التي تقاوم أي محاولة لتحييدها.

تابوت العهد – مبدأ الوحدة في داخلنا؛ قدس الأقداس؛ سر العليّ؛ الاسم المقدس؛ لفافة الحياة؛ إدراك أن الله والإنسان واحد.

القوس الصاعد للدائرة – مصطلح يُستخدم ليرمز إلى قوة التطور، الشخصية والكونية، التي من خلالها... يرتقي الفرد من المادية الجامحة إلى عالم الروح الخالصة. مبدأ القيامة.

الزاهد: من يكرس نفسه لحياة العزلة والتأمل، ويمارس أقصى درجات التقشف وإنكار الذات.

الزهد: يشير إلى المذهب القائل بأن العالم المادي أو الجسدي شرير أو حقير، وأن الخلاص يتحقق بكبح جماح الجسد.

"كما يفكر الإنسان في قلبه يكون" – فكما تكون حالة الوعي الداخلية، تكون الحالة. (انظر أيضًا كتاب جيمس ألين "كما يفكر الإنسان").

الاستيعاب والإزالة: يُفسر هذا ميتافيزيقيًا على أنه دوران الحقيقة وإزالة كل ما يخالفها.

الذكاء الذري: الذكاء الأساسي الكامن في جوهر الأشياء؛ الذكاء الموجود في الذرة الذي يُبقيها تدور حول وحدتها المركزية للطاقة. يتميز هذا الذكاء بالاستجابة، والتي يمكن الاستفادة منها في أعمال الشفاء. كل ذرة في كل خلية من خلايا الجسم تمتلك ذكاءً.

الكفارة: المذهب اليهودي القديم للفداء من خلال المعاناة أو التضحية للتكفير عن ذنب. إصلاح ما أُسيء. جميعنا نُكفّر عن أخطائنا، إذ يُعاقبنا قانون السبب والنتيجة حتى نتعلم التوقف عن ارتكابها. يُدرك دارسو الميتافيزيقا الآن أن التكفير الوحيد – أي الفداء الحقيقي – هو التوحد مع الحياة ذاتها، مع الله. من خلال هذه الوحدة، تُسوى الحسابات القديمة وتُحلّ.

التعلق: أن يكون المرء مُقيّدًا بالأشياء الحسية، بحيث يكون من المؤلم أن يكون بعيدًا عنها.

قانون الجذب: اعتقاد ميتافيزيقي بأن "المثل يجذب مثله"، وأن التفكير الإيجابي والسلبي يُؤديان إلى نتائج مادية إيجابية وسلبية على التوالي.

الكتابات التلقائية: رسائل مكتوبة تُستقبل عندما يكون المرء تحت تأثير قوة نفسية، ويعتقد الكثيرون أنها قد تنبع من الذات، أو من المحيطين، أو من الأرواح.

الإيحاء الذاتي: أفكار المرء التي تؤثر على عقله.

البديهية: حقيقة بديهية لدرجة أنها ستكون... يستحيل على العقل أن يتعارض معها.

ب

البركة — فكر بنّاء موجه نحو أي شخص.

المعمودية بالنار — تطهير عمليات التفكير الواعية واللاواعية، حيث تتحول الأنماط الذهنية من وعي مادي إلى وعي روحي

المعمودية بالروح القدس — حدس روحي خالص يتجاوز العمليات الفكرية. نور السماء. حالة وعي لم تعد رمزًا ولا تطهيرًا، بل هي إدراك داخلي عميق للسلام والاتزان والقوة والكمال والتمام.

المعمودية بالماء — رمز لوعي المرء بأنه منغمس في الحياة — الروح السائلة.

البداية — نقطة انطلاق أي خلق. ما تنبثق منه كل التجارب.

الوجود — بمعناه المطلق، الله، الروح، الحقيقة. (انظر أيضًا حقيقة الوجود).

الإيمان — تغيير أنماطنا النفسية الفكرية إلى قبول ما يشمل كمال الله، بالنسبة لأي حقيقة أو تجربة.

الإيمان هو طريقة تفكير معينة، ومهما بلغت روحانية هذا الإيمان أو العقيدة، فهو يبقى فعل وعي، وبالتالي يمكن اختزاله إلى حالة فكرية.

الإيمان، قانون – يخلق الإيمان قانونه الخاص، الذي لا يتغير إلا بعكسه.

آمن بقلبك – يشير إلى القناعة الداخلية الإيجابية.

الابن الحبيب – التجسيد الإلهي الفريد لله الذي يمثله كل إنسان. (انظر أيضًا: الابن الوحيد؛ الآب والابن).

الكتاب المقدس – الكتاب المقدس أو الكتب المقدسة لأي عرق من الناس؛ كتاب يحتوي على الكتابات المقدسة لأي دين، ويُستخدم كمرجع.

السحر الأسود – استخدام معكوس لقوة العقل الإبداعية.

البركة – فكرة بناءة موجهة نحو أي شخص أو أي ظرف؛ أي فكرة بناءة مصممة لتكون مفيدة.

القوة العمياء والذكاء اللامحدود – تشير القوة العمياء إلى قانون السبب والنتيجة، وهو فاعل وليس عارفًا. يشير الذكاء اللامحدود إلى قدرة غير محدودة على المعرفة بوعي

الدم – رمز الحياة الإلهية المتجلية في العالم المادي.

الجسد عقلاني وروحي – لا يُنكر الجسد؛ بل نؤكد أنه مزيج من الأفكار الروحية التي تُعبّر عن الحياة بتناغم.

جسد المسيح – هو الفردية الخالدة فينا، المتجلية في أي عالم نعيش فيه. الجسد الروحي.

جسد الله – الخليقة الظاهرة بأكملها.

جسد الأفكار الصحيحة – في العلاج، يُنظر إلى الجسد على أنه مزيج من الأفكار الروحية المتناغمة مع الحياة الإلهية.

الولادة من جديد – قيامة من الاعتقاد بانفصالنا عن الله أو الحياة الكاملة إلى إدراك أننا "أيها الأحباء، الآن نحن أبناء الله!".

مُقيدون بالمعتقدات البشرية – خاضعون لتأثيرات الجنس البشري.

مُقيدون بحريتنا – العقل هو "الشريعة التي تُقيد الجاهل وتُحرر الحكيم". فكرة التقييد تُولّد التقييد؛ وفكرة الحرية تُولّد الحرية. بما أن التقييد هو منظور محدود للواقع، فإن منظورًا أوسع يُزيل هذا التقييد تلقائيًا. وهكذا، فنحن ظاهريًا مُقيدون، وفي الواقع مُحررون، بموجب قانون واحد.

وعاء القبول – يُشير إلى مواقفنا الذهنية، التي تُرفع، كما لو كانت، لكي يملأها فيض الخيرات.

خبز السماء – الحق كغذاء روحي للنفس. (انظر أيضًا "أنا خبز الحياة").

النَفَس – حياة جميع الكائنات؛ رمزًا للعمل الروحي الذي يُحوّل الفكر إلى شكل، ويُعيد الشكل إلى فكر. كلمة "روح" مُشتقة من الكلمة اللاتينية "spiro"، والتي تعني نَفَس. نقرأ في الكتاب المقدس أن "الله نفخ في الإنسان نسمة حياة، فصار الإنسان نفسًا حية". التنفس هو الحياة. كل كائن حي هو جزء من النَفَس الأعظم، من النباتات، مرورًا بمملكة الحيوان، وصولًا إلى الإنسان. النَفَس جزء من عمل الله في الإنسان، وهو خارج عن سيطرة الإنسان تمامًا. في التعاليم القديمة، يُقال إن النَفَس الأعظم كان بداية الحياة والطاقة على الكوكب. "وكان روح الله [النَفَس] يرفرف على المياه".

الشجرة المشتعلة – تشير إلى فكرة أن الطبيعة كلها تنبض بالحضور الإلهي. إن إدراك هذا الحضور الإلهي هو ما يجعل الصوت ينبعث من الطبيعة. أي أننا نتواصل مع الله من خلال الطبيعة.

ج

السببية – ما يكمن وراء الأشياء باعتباره السبب العاقل.

التغيير – ظهور الأشكال واختفاؤها.

المسيح – التجلي الكامل لله، من النبات إلى الملاك؛ من حبة الفول السوداني إلى الكون بأسره. المسيح في الإنسان يعني فكرة البنوة، الإنسان الكامل كما يجب أن يُتصور في ذهن الله.

وعي المسيح – تعابير تُستخدم للدلالة على وعي الإنسان الذي بلغ مستوىً من التطور يشبه مستوى المسيح، والذي أدرك الحقيقة كما هي.

الاختيار، القدرة – "إن قدرة الإنسان على الاختيار تُمكّنه من التفكير كالملاك أو الشيطان، كملك أو كعبد. ومهما اختار، فإن عقله سيخلق ويُظهر" (فريدريك بايلز).

التعايش – ما يوجد مع.

الأزلية – موجود دائمًا. غير مخلوق.

التصور – ولادة فكرة.

التركيز – توجيه الانتباه إلى نقطة محددة.

المفهوم – فكرة في الذهن.

السبب الملموس – فكرة محددة. الشروط: ما يتبع السبب، نتيجة القانون.

الصراع: صراع ذهني داخلي، واعٍ أو غير واعٍ.

العقل الواعي: العقل المُدرك لذاته في الله أو الإنسان.

الوعي: إدراك الوجود.

التأمل: المعرفة الداخلية.

الإنسانية الإلهية: الإيمان بالشرارة الإلهية الكامنة، والوحدة المتداخلة، ووعي كل الأشياء في الخلق والقانون الطبيعي.

التوقيت الإلهي: "الوقت المُحدد في مشيئة الله"، الذي هو في وحدته كمال كل شيء.

الطاقة: سلسلة متصلة توحد الجسد والعقل.

التطور: انتقال الروح إلى الشكل.

الوجود: امتلاك الوجود الحقيقي في ذاته. سبب وجوده، لا يعتمد على شيء سوى نفسه. يختلف عن الوجود الذاتي.

الظاهري: الظاهر.

F

القدرة — أي نمط من أنماط السلوك الجسدي أو العقلي يُعتبر هبةً فطريةً أو قدرةً مكتسبةً، كقدرات البصر والسمع واللمس، إلخ.

الأرواح المألوفة — تشير إلى التحكم في الوعي من خلال أداةٍ ما غير مرئية.

الإله الأب والأم — مبدأ الوجود المذكر والمؤنث كما هما مُتضمنان في الواحد الأندروجين، أو العلة الأولى.

المبدأ المؤنث ـــ الروح الكونية. في الإنسان، الذكاء الذاتي أو اللاواعي.

العلة الأولى ـــ ما هو علة كل شيء. غير المخلوق، الذي ينبثق منه كل الخلق. العلة الأولى مذكرة ومؤنثة في طبيعتها، وتشمل المبدأ الوسيط للنشاط الإبداعي.

الشكل ـــ أي مخطط محدد في الزمان والمكان. قد تكون الأشكال مرئية أو غير مرئية. على الأرجح، يمتلئ كل الفضاء بأنواعٍ عديدة من الأشكال.

الجوهر غير المُتشكّل – المادة الأساسية التي تُخلق منها جميع الأشكال، موجودة في كل مكان، في حالة غير مُتشكّلة، وتتأثر بالذكاء الواعي واللاواعي. من طبيعة الروح أن تُجسّد الأفكار التي تُملأ بها؛ لذا، تحتوي الروح على جوهر في داخلها.

الوظيفة – "العمل الطبيعي لأي عضو".

الروح – الشكل الذهني لأي شخص، سواء كان جسديًا أو روحيًا.

الوجود الكوني – مصطلح صاغته كيمبرلي ل. هامرسميث عام ٢٠١٥، يُجسّد التجارب التراكمية، والثروات والموارد المادية والميتافيزيقية للكيان الجماعي – ويهدف إلى تحديد وظيفته من حيث النطاق والعمق.

الله – العلة الأولى، الأزلي، غير المولود، غير المخلوق، المطلق أو غير المشروط، الواحد الأحد. لا يُدرك الإنسان الله إلا بقدر ما يُجسّد الطبيعة الإلهية.

العادة – أي فعل أصبح جزءًا من العقل الباطن.

الهالة – الإشعاع الذي يظهر حول الرأس.

الجنة – حالة وجود متناغمة.

الجحيم – حالة وجود متنافرة.

الوعي الأعلى – تعابير تُستخدم للدلالة على وعي الإنسان الذي بلغ مستوى أعلى من التطور الروحي، والذي أدرك الحقيقة كما هي.

الروح القدس – الأقنوم الثالث من الثالوث. خادم الروح. يُستخدم بمعنى العالم – النفس أو الذاتية الكونية.

البشرية – التعبير المتعدد عن الله في صورة بشر. الكثيرون الذين يعيشون في الواحد.

التنويم المغناطيسي – السيطرة العقلية على الآخر.

أنا هو – من المنظور الكوني، تعني الله؛ ومن منظور الفرد، تعني الإنسان الحقيقي.

الفكرة – مفهوم. أفكار الله هي الإدراكات الإلهية لذاته. الأفكار الحقيقية أزلية.

الإشراق – الإلهام الذي يصل إلى حالة كونية. اتصال مباشر مع الحقيقة أو الله. إدراك حدسي كامل.

وهم العقل – يعني النظر إلى صورة في العقل قد تكون حقيقية، كصورة فقط، وليست جوهرًا. فكما أن صورة الشخص ليست هو الشخص نفسه، كذلك توجد صور كثيرة مرسومة في العقل، وهي حقيقية كصور فقط. وهمي ليس وهمًا، ولكنه قد يوهمنا بأوهام، ما لم نكن حريصين جدًا على التمييز بين الزائف والحقيقي.

الصورة الذهنية: التصور الذهني لأي شيء.

الخيال: ملكة التصور.

الحبل الطاهر: كل الأشياء خُلقت بلا دنس، لأنها جميعًا من الواحد الأحد.

الخلود: مبدأ الوجود الخالد في جميع البشر.

القانون الثابت: مطلق في قدرته على الإنجاز.

الاستقبال غير الشخصي: العقل المبدع هو استقبال غير شخصي، إذ يستقبل جميع بذور الفكر.

التجسد: روح الله في كل الخليقة.

الفردية: الفكرة الحقيقية للإنسان، متميزة عن الشخصية الخارجية.

الإلهام: فعل زرع بذور الفكر في العقل المبدع.

الاستدلال الاستقرائي: الاستدلال من النتيجة إلى السبب.

المسيح الساكن: الإنسان العام، المتجلي من خلال الفرد. فكرة البنوة الإلهية. الإنسان الحقيقي. يظهر من هذه الحقيقة بقدر ما نسمح له بالتعبير من خلالنا.

الأنا الساكنة: روح الإنسان متميزة عن نفسه أو عقليته الذاتية. الإنسان الحقيقي، وهو الجزء الواعي منه.

الله الساكن في الداخل – الإنسان الحقيقي هو من الله بقدر ما يستطيع تجسيده. الشرارة الإلهية، الأزلية الخالدة.

اللامتناهي – ما يفوق كل إدراك.

الحياة الكامنة – الحياة الحقيقية، متميزة عن الحياة الكامنة.

البصيرة الباطنة – القدرة الروحية على معرفة الحقيقة. هي صفة عقلية تقود العقل إلى فهم الواقع.

الجنون – فقدان القدرات الموضوعية.

الإلهام – من وجهة نظر الإنسان، يعني التواصل مع اللاوعي لدى الفرد أو الجنس البشري. من وجهة نظر الإله، يعني التواصل مع الروح الكونية.

الحياة الفطرية – الواحد في كل شيء.

الإنسان الفطري – الإنسان الروحي.

العقل – ملكة التفكير.

الحدس – القدرة على المعرفة دون أي عملية تفكير. الله يعلم بالفطرة فقط.

الانطواء – الأفكار الكامنة في العقل. الانطواء يسبق التطور. ي

يسوع ـــ اسم رجل. يختلف عن المسيح. أصبح يسوع الإنسان تجسيدًا للمسيح عندما فسحت البشرية المجال للفكرة الإلهية للبنوة.

ك

الكارما ـــ قانون السبب والنتيجة الذاتي.

ل

تعيل

الحياة الكامنة ـــ الحياة التي تعتمد على الواقع. تختلف عن الحياة الفطرية.

القانون ـــ العقل في حالة عمل.

قانون الجذب ـــ ميول ذاتية مُفعّلة لا بد أن تجذب.

قانون التوافق ـــ الصورة الذاتية للرغبة. في العالم الذاتي توجد صورة دقيقة لكل ما هو موجود في العالم الموضوعي.

الليبيدو ـــ الدافع العاطفي في الحياة الذي يدفعها إلى التعبير عن نفسها.

الحياة ـــ مبدأ الوجود المُحرك.

المنطق ـــ التفكير الذي يحافظ على إيمانه بنفسه.

اللوغوس ـــ كلمة الله.

الحب ـــ عطاء الذات.

العالم الأكبر ـــ العالم الكوني.

سوء الممارسة – الاستخدام المدمر لقوة العقل. قد يكون واعياً أو خبيثاً، بريئاً أو عن جهل.

الإنسان – تجسيد الله في صورة بشرية. فكرة الله المتجلية في الجسد. بنوة الآب. الإنسان العام هو النموذج، والإنسان الشخصي هو التعبير الملموس عن هذا النموذج.

الهوس – رغبة جامحة تتحكم في السلوك الشخصي.

التجلي – تجسيد الأفكار.

المبدأ الذكوري – الروح المؤكدة لذاتها، سواء في الله أو الإنسان.

الإنسان المادي – الإنسان الموضوعي. ليس نقيضاً للروح، بل هو النتيجة المنطقية للعقل العارف بذاته.

المادة – أي شكل تتخذه الجوهرية في عالم الحس والموضوعية.

الوسيط – من يُجسد الذاتية.

الذاكرة – الاحتفاظ الذاتي بالأفكار.

الجو الذهني – الانبثاق الذهني لأي شيء، أي شخص أو أي مكان. لكل شيء نوع من الجو الذهني.

المقابلات الذهنية: الصورة الداخلية في الذهن التي توازن التجسيد الخارجي للذات. لكل شيء موضوعي مقابل ذهني داخلي.

المكافئ الذهني: امتلاك فكرة ذاتية عن التجربة المرغوبة.

الصورة الذهنية: التشابه الذاتي.

المستوى الذهني: يقع بين الروحي والمادي. تتداخل المستويات الثلاثة فيما بينها.

علم العقل: علم العقل والروح. معرفة منهجية لقوانين العالم الذهني والروحي.

العلاج الذهني: فعل وفن وعلم استنباط الفكر في الذهن، والذي، بتأثير الذهن، يصبح حالة ظاهرة.

العقلية: استخدام فردي للعقل الكوني. هناك عقل واحد، ولكن داخل هذا العقل الواحد توجد عقليات متعددة. العقل الواحد هو الله، والعقليات هي البشر.

التنويم المغناطيسي: تأثير الشخصية.

المبدأ الميتافيزيقي: العقل الكوني الخلاق؛ كروح، هو واعٍ؛ كقانون، هو ذاتي.

الميتافيزيقا: ما وراء قوانين الفيزياء المعروفة.

العالم المصغر ـــ العالم الفردي أو كون الإنسان.

العقل ـــ العقل واعٍ ولا واعٍ. العقل الواعي هو الروح، سواء في الله أو الإنسان. العقل اللاواعي هو قانون العقل الواعي، وبالتالي فهو لا واعٍ أو ذاتي.

مرآة المادة ـــ الشكل الخارجي لمفهوم داخلي.

مرآة العقل ـــ العالم الذاتي، الذي يعكس صور الفكر التي يُسقطها عليه العقل الواعي.

المال ـــ فكرة السعادة الروحية

التعددية – الأشياء والأشخاص الكثيرون الذين ينبثقون من الواحد. الكل من الواحد، والكل يعيش فيه وبه.

المتصوف – من يشعر بالحضور الإلهي.

التصوف – ليس لغزًا، بل إحساسٌ صوفيّ بوجود الحقيقة المطلقة.

القانون الطبيعي – أي نظام قانوني يُزعم أنه مُحددٌ بالطبيعة، وبالتالي عالمي.

الإنسان الطبيعي – الإنسان الغريزي أو الروحي.

المحايد – غير مُبالٍ بكيفية عمله.

تحييد الفكر – فعل محو الصور الذهنية.

الفكر الجديد – الأفكار القائلة بأن "الذكاء اللامتناهي" أو "الله" موجود في كل مكان، وأن الروح هي مجمل الأشياء الحقيقية، وأن الذات الإنسانية الحقيقية إلهية، وأن الفكر الإلهي قوةٌ للخير، وأن المرض ينشأ في العقل، وأن "التفكير السليم" له أثرٌ شافٍ.

الطبيعي – فطري.

التشييء – فعل التشييء.

العقل الموضوعي – العقل الواعي.

المستوى الموضوعي – العالم الخارجي للتعبير.

الجانب الموضوعي للفكر – الجانب الواعي للتفكير.

الهوس – الخضوع لسيطرة الأفكار أو المفاهيم أو الكيانات

الخفي – المخفي.

أوميغا – الأخير.

القدير – القادر على كل شيء.

الحاضر في كل مكان – موجود في كل مكان.

العليم – العليم بكل شيء.

التفصيل – أشكال مادية من صنع الروح.

الاستقبال السلبي – الاستعداد لتلقي جميع أشكال الفكر.

السلام – حالة من السكينة الداخلية.

المدرك – شيء خارجي يدركه العقل. ويختلف عن المفهوم الذي هو فكرة داخلية.

الكمال – الحالة الحقيقية للوجود.

الشخصية – الدليل الموضوعي على الفردية. الإنسان كما نراه في العالم النسبي.

الفلسفة – رؤية الإنسان للحياة.

المستويات – معدلات اهتزاز مختلفة.

اللدونة – سهولة التشكيل

الاتزان النفسي – التوازن العقلي.

الإمكانات – القدرة الكامنة.

الفقر الفكري – محدودية التفكير.

القوة الشخصية – مقياس لقدرة الفرد على التحكم في بيئته، بما في ذلك سلوك الكائنات الأخرى.

الممارس – من يمارس العلاج النفسي أو الإرشاد الروحي.

ما قبل الولادة – الظروف التي تسبق ولادة الإنسان.

المادة البدائية – المادة الأولية عديمة الشكل التي منها تنشأ جميع الأشياء.

المبدأ – أي قانون من قوانين الطبيعة.

النبي – من يتنبأ.

النفس – الروح أو الذات.

القدرة النفسية – القدرة الذاتية. جميع الناس لديهم قدرات نفسية، ولكن ليس جميعهم وسطاء روحيين. الوسيط الروحي هو من يجسد الإحساس النفسي.

الظواهر النفسية – ظواهر الروح أو العقلية الذاتية.

العالم النفسي – عالم الذاتية.

التحليل النفسي – تحليل منهجي للفكر الذاتي.

علم النفس – دراسة آلية عمل العقل البشري.

علم النفس القياسي – قراءة الأمور من منظور الروح.

الغاية – نية محددة.

التأثير الروحي – المعتقدات البشرية التي تعمل من خلال عقلية الفرد.

الواقع – حقيقة أي شيء.

الإدراك – الفهم الذاتي للحقيقة.

العقل – القدرة العقلية على التحليل والتشريح واستنباط أسباب الأشياء. يستطيع العقل البشري الاستدلال استقرائيًا واستنتاجيًا. أما العقل الإلهي فيستدل استنتاجيًا فقط.

التناسخ – الولادة من جديد في الجسد.

النسبي – ما يعتمد على شيء آخر.

الدين – تصور الإنسان عن الله أو الآلهة.

البعث – النهوض من الإيمان بالموت.

الوحي – الوعي بالأمور الخفية.

الثروة – فكرة الوفرة.

الحكمة – من يمتلك معرفة بالحقائق الروحية

القديس – رجل صالح.

العلم – معرفة القوانين والمبادئ. الرائي – من يرى الأسباب.

الوعي الذاتي – الوعي الشخصي. يختلف عن الوعي الكوني، وهو وعي بوحدة الكل.

الوجود الذاتي – الحياة بفضل وجوده.

العقل العارف بذاته – العقل الواعي.

الدافع الذاتي – امتلاك القوة في ذاته.

إدراك الذات – وعي الذات كحقيقة

الصمت – الإدراك الداخلي للحياة الواحدة.

الوعي البسيط – الوعي كما في الحيوان.

الخطيئة – الخطأ. لا توجد خطيئة إلا خطأ، ولا عقاب إلا نتيجة حتمية.

البنوة – الإنسان ابن الله.

الروح – الوسيلة الإبداعية للروح.

روح الكون – الوسيلة الإبداعية الكونية.

الفضاء – العالم الكوني. المسافة بين شكلين محددين. الفضاء حالة نسبية ضمن المطلق.

التخصيص – التجسيد في شكل ملموس.

الروح – الله، الذي فيه توجد جميع الأرواح. العارف بذاته. الكون الواعي. المطلق.

روح الإنسان – الله في الإنسان.

روح الكون – عقل الله العارف بذاته.

الأرواح – شخصيات.

روحي – جو الله.

الوعي الروحي – إدراك الحضور الإلهي.

الإنسان الروحي – الإنسان في حالة وعي.

الإدراك الروحي – إدراك الحضور الإلهي.

تيار الوعي – التدفق الذهني التلقائي لحالة الفكر الذاتية.

ذاتي – ما دون عتبة الوعي. الجانب الباطني.

النشاط الذاتي – الفعل الداخلي للقانون التلقائي.

السببية الذاتية – القانون العقلي المُفعّل.

ذاتية الكون – الروح الكونية أو القانون العقلي.

الجانب الذاتي للحياة – الجانب الباطني للحياة، باعتباره قانونًا.

الحالة الفكرية الذاتية – مجمل تفكير المرء، الواعي واللاواعي.

النزعة الذاتية – الاتجاه الذاتي للفكر.

الخضوع للروح – القانون هو الذاتية بالنسبة للروح.

التسامي – تحويل الطاقة إلى شكل آخر من أشكال الفعل.

البقاء – العيش بفضل الروح.

الجوهر – الأصل غير المادي لجميع الأشكال.

اللاوعي – مرادف للذاتية.

الإيحاء – استقبال أفكار الآخرين. الإيحاء هو قبول أفكار الآخرين والإيمان بها. قد يكون واعيًا أو لا واعيًا.

الرمز – انطباعات عقلية تدل على حقائق روحية أو عقلية.

الطاقة التحريكية عن بعد – تحريك الأجسام المادية دون تلامس مادي.

التخاطر – نقل الأفكار.

الواحد – القوة الواحدة.

اللاهوت – ما يتناول طبيعة الله.

أشكال الفكر – لكل فكر شكل محدد في الجانب الذاتي من الحياة.

الفكر – حركة الوعي.

الزمن – "تسلسل الأحداث في وحدة متكاملة".

الغيبوبة – حالة ذاتية.

التحويل – هو نفسه التسامي.

العلاج – فن وفعل وعلم استحثاث الفكر في الجانب الذاتي من الحياة. تفعيل القانون.

الثالوث – الكون الثلاثي.

الوحدة الثلاثية – الثالوث.

الحقيقة – ما هو كائن.

الذاكرة اللاواعية – الذاكرة الذاتية.

الفكر اللاواعي – الفكر الذاتي اللاواعي.

الوحدة – وحدانية الله والإنسان.

القانون الكوني – المبدأ الإلهي.

العقل الكوني – الوعي الأعلى الكوني أو مصدر الوجود.

الروح الكونية – الذاتية الكونية.

الروح الكونية – عقل الله الواعي.

الذاتية الكونية – الوسيط الخلاق أو العقل الكوني. الكون – العالم الكوني.

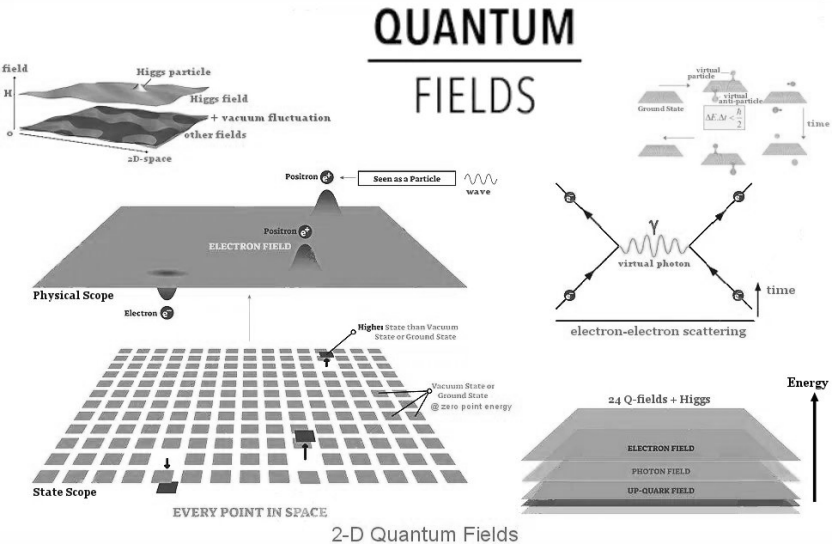

باروك سبينوزا

crazy
inside
rain
sad
I cry
sun
love
recall
myself
was
lonely
the beach
mind
joy
memory
I have
depression
feel
perhaps
yesterday